المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦

الوزارتان المصريتان

استعفت الوزارة الفهمية في ١٠ نوفمبر واسند سمو الخديوي مسند رئاسة النظار الى سعادة بطرس باشا غالي وقد وصفنا الوزارتين في المقطم الصادر في ١١ و١٢ نوفمبر ورأينا ان ننشر هنا خلاصة ما نشرناهُ هناك ونضيف اليهِ ما تتم بهِ الفائدة

١ وزارة مصطفى باشا فهمي

لم تطل مدة وزارة مصرية قدر ما طالت مدة الوزارة الفهمية الاخيرة فقد قامت اثر استعفاء الوزارة النوبارية الاخيرة في ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٥ واستعفت في ١١ نوفمبر سنة ١٩٠٨ فدامت ثلاث عشرة سنة تماماً ورأت مصر في ايامها ما رأت من دلائل الاصلاح والتقدم وتمتعت بما تمتعت بهِ من سني الرخاء والرفاه وقاست في اواخرها ما تقاسيهِ الآن من شدائد الازمة المالية وما تشكو منهُ من نتائج الطيش والغرور

وقد امتازت هذه الوزارة عن سواها من الوزارات المصرية بانها كانت وزارة دستورية بحتة فعلاً ولو لم تكن كذلك نظراً . فاننا لم نرَ في الشرق ولا في غير الشرق ايضاً وزارة لازمت حدود الدستور ملازمة اتم من الوزارة الفهمية لها . ولما كانت الخطة الدستورية غير مألوفة عند اهل الشرق وكان الاكثرون منهم قد ربوا على استعظام الجبروت والبأس والقوة الاستبدادية لم يقدروا هذه المزية في الوزارة الفهمية حق قدرها ولا عدوا احترامها التام للدستور والنظام فضيلة تشكر بل حسبها كثيرون منهم ضعفاً . وتأتى عن ذلك ان قامت عليها قيامة الناقدين والطاعنين والذامين فلم يلقوا منها الاَّ حلم الدستور وصبراً على الجمر من غير تعمد الاذى او الانتقام لنفسها بضرر . فزادهم ذلك تمادياً في التطاول عليها وجرأة على القدح فيها وذمها وتشهيرها في بلاد لا تحسب القوة الاَّ بالبأس والبطش كما تقدم

ولم تعتد المحافظة على الامن والطاعة الاَّ خوفاً من سطوة الحكومة وخشية من هيبتها ورهبتها فكان ذلك باعثاً على تقليل هيبة الحكومة في نفوس الرعية وبالتالي على اضعاف نفوذها وكسر الشكيمة التي تكبح جماح الاشقياء وتردعهم عن ارتكاب المعاصي والموبقات

ولهذا كانت ايام الوزارة الفهمية ايام تقدم في الاصلاح والنظام بوجه الاجمال الاَّ في مسألة الامن العام · فانهُ لما استعفى المرحوم نوبار باشا من وزارتهِ جرى لنا معهُ حديث لخصناهُ في المقطم الذي صدر في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٩٥ بقولنا " ويرى دولتلو نوبار باشا ان نظام الداخلية الذي وضعهُ في وزارتهِ ضامن لذاتهِ دوام الاتفاق والسكون بعد وزارتهِ كما كانا في ايام وزارتهِ فقد انتفت بهِ اسباب التنازع والتنافس بين رجال الادارة ورجال الضبط او بينهم وبين رجال النيابة كما انتفت بهِ اسباب الجفاء بين الوطني والاجنبي ·· وان هذا النظام الجديد سد ابواب الرشوة وابواب المطاعنة بين الطامعين في المشيخة او العمدية · واصبحت العبرة الآن بالنظام وليس بالذين يرئسونهُ " قال " ولو كنت اعلم ان ذلك ليس هو ما يقتضيهِ النظام الجديد لما عجلت في الاستعفاء · ومتى استقامت أُمور الداخلية امنت البلاد شرور الفتن والاضطرابات " · الى ان قلنا " غير ان ما يراهُ دولتلو نوبار باشا من هذا القبيل لا يراهُ بعض اقطاب الادارة والسياسة عندنا والحكم في ذلك انما يكون بالاختبار والامتحان على مرور الزمان "

هذا ما ذكرناهُ منذ ثلثة عشر عاماً وقد اثبت الاختبار والامتحان على مرور هذه الاعوام ان القطر تقدم بمساعي حكومتهِ من كل جهة الاَّ من جهة الامن العام . ولولا ذلك لكان غاية ما نطلبهُ لمصر من الآن الى آخر الزمان ان توفق وزاراتهُ في مقاصدها ومساعيها كما وفقت الوزارة الفهمية الاخيرة

ولا يخفى انهُ لولا اضعاف هيبة الحكومة بتطاول المتطاولين عليها في جرائدهم بالشتم والذم والتعيير وهي لا تبدي ولا تعيد لما تقوَّضت اركان الامن ولولا ذلك لما ساءت سمعة القطر المصري في اوربا حتى ضنَّت الدوائر المالية عليهِ باموالها فاشتدَّت الضائقة على اهلهِ

ويقيننا ان الوزارة الفهميَّة لم تصبر على شغب الشاغبين وتطاولهم عليها لانها رأت في ذلك نفعاً للبلاد او لانها لم ترَ منهُ ضرراً كلاَّ بل لان الحكومة المحتلَّة اوجبت عليها ذلك مراعاة لحريَّة الصحافة وجرياً على ما هو جارٍ في بلادها. ومن الغريب ان الوزارة الفهميَّة استطاعت ان تصبر على هذه المضض ثلاثة عشر عاماً وان ينشأ في عهدها كثير من اكبر الاعمال وانفعها للقطر

وغني عن البيان ان اشهر رجال هذه الوزارة بل رجالها الذين كان عليهم المعول اثنان قديمان وواحد جديد فالقديمان عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيسها وعطوفة بطرس باشا غالي ناظر خارجيتها والجديد سعادة سعد باشا زغلول ناظر معارفها · فاول الثلاثة خرج باستعفائهِ من خدمة الحكومة المصرية واما الاخران فباقيان اليوم في خدمة وطنهما

اما عطوفة مصطفى باشا فهمي فقد قال المقطم عنهُ يوم قيام وزارتهِ سنة ١٨٩٥ " وحسبنا ان نظهر البهجة والسرور بان الامانة قد لقيت من كرم الامير المعظم جزاءها من الثقة والاكرام وان الصدق في النصيحة والاخلاص في الخدمة قد حلاً عند سموهِ محلهما من الاعتبار واصبح عطوفة مصطفى باشا فهمي اليوم عنوان الامانة ومثال المقيمين على عهود الوفاء والاخلاص واصبحت الامة من سواحل بحر الروم الى اقاصي الصعيد تشهد بلسان واحد انهُ خادم الامير والامة بالصدق والامانة وانهُ الوزير الذي نظر الى بعيد فقصد دفع الغوائل وتدارك الخطوب ينطق بذلك اليوم العدو قبل الصديق ويعلمهُ البعيد كالقريب "

وقد كان قول المقطم هذا بعد انتصار عطوفتهِ بسجاياهُ الفريدة وصفاتهِ السامية على الدسائس والوشايات والمكايد والسعايات

ثم مرت الايام والاعوام ونحن لا نرى في عطوفتهِ الاَّ كل ما يؤيد اعتقادنا بسمو ادبهِ وكرم اخلاقهِ وشرف صفاتهِ فهو الوزير الدستوري العاقل الحكيم والمشير الصادق الامين والحاكم العادل المستقيم بكل معنى من معاني هذه الكلمات . ونحن نحمد الله أن كان نصيب المقطم من يوم انشائهِ الى اليوم الاعتراف بحسن اوصاف رجل فاضل عاقل ووطني مستقيم صادق مثل عطوفتهِ . ولسنا ندعي لعطوفتهِ الكمال فسبحان من تفرد بالكمال ولا نجهل انهُ يعوز فطرتهُ الشريفة بعض ما زاد في الذين تقدموهُ من الاقدام وقوة الحزم ولكنهُ في ما سوى ذلك الوزير الذي لا بد ان يذكر الوطن عقلهُ وحكمتهُ وفضائلهُ وفواضلهُ وخدمهُ الجليلة كلما ارتقى ابناؤُهُ في البحث عن حقيقة افعال وزرائهم والحاكم الذي نؤمل ان يكثر امثالهُ بين حكام مصر في العدل والاستقامة والصدق والامانة والغيرة الحقيقية على الوطن والامة

---

٢ وزارة بطرس باشا غالي

لما وقع الاختيار على سعادة بطرس باشا غالي لرئاسة النظار صدرت اليهِ الارادة الخديوية السنية بذلك وهذا نصها

سعادة بطرس باشا غالي حضرتلري · بناء على ماهو معلوم فيكم من الكفاءة والدراية ووثوقنا بكم قد وجهنا لعهدتكم مسند رئاسة مجلس نظار حكومتنا وعلى هذا نكلفكم بتشكيل

هيئة نظارة جديدة وكونوا على يقين من تعضيدنا ومساعدتنا اياكم في جلائل الاعمال التي عهدنا بها اليكم ونسأل الحق جلت قدرتهُ ان يوفقنا جميعاً بما فيهِ خير البلاد ورفاهية العباد انهُ نعم المولى ونعم النصير

عباس حلمي

تحريراً في ١٢ شوال سنة ١٣٢٦ و ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨

فرفع سعادة بطرس باشا غالي العريضة الآتية الى سموهِ

مولاي

قد تفضلت ذاتكم العلية بتوجيه رئاسة مجلس النظار الى عهدتي وكلفتني بتأليف هيئة نظارة جديدة فانشرف بان ارفع الى مقام سموكم اسماء من تشكل منهم هذه النظارة وهم اصحاب السعادة سعد زغلول باشا ناظر المعارف وحسين رشدي باشا ناظر الحقانية ومحمد سعيد بك ناظر للداخلية واسماعيل سري باشا ناظر للاشغال العمومية والحربية واحمد حشمت باشا للمالية

فان حازت هذه التعيينات القبول لدى سدتكم العلية التمس صدور الامر الكريم باعتمادها وتقليدي نظارة الخارجية كما تعطف جنابكم الرفيع وعهد اليَّ برئاسة مجلس النظار واني مع غاية الاجلال لمولاي

عبدهُ الخاضع الامين

بطرس غالي

هذا وسعادة بطرس باشا غالي اشهر من نار على علم سياسي محنك واداري مجرب وعاقل من اعظم عقلاء هذا القطر لا يجد الانسان اقدر منهُ على التوفيق بين المختلفين وتسيير سفينة الحكومة التي يضبط دفتها بالسلامة والامن بين الانواء والزوابع والعواصف والزعازع وزد على ذلك انهُ من اقدر الرجال على ادراك اقدار الرجال وابصرهم بمصير الاحوال وابعدهم نظراً في عواقب الامور. وقد قضى عمرهُ في الوظائف والمناصب ومعاشرة الامراء والوزراء ومخالطة خاصة الامة وعامتها وجاب الاقطار في الاسفار وحضر مجالس الملوك الكبار ودرس كل درس في اوسع مدرسة من مدارس الاختبار حتى صار من ادرى اهل وطنهِ بالسياسة التي تنفع اميرهُ ووطنهُ وامتهُ والسياسة التي تضرهم وعلم ان معاملتهُ هي مع دولة كلمتها كلمة واحدة لا ثنتان والظاهر والباطن في معاملتها سيان . فلذلك اصبح احسن خلف لاحسن سلف ونؤمل ان مصر تتمتع في وزارتهِ بكل ما ينفعها من ضروب الاصلاح وتجتنب كل ما يضرها من عوامل الخطاء و بوادر الطيش والغرور

واما سعادة سعد باشا زغلول فالحق يقال ان بقاءهُ في نظارة المعارف سرنا جداً وان الحكومة والامة لم تحرما خدمة شهم مقدام عاقل ووطني غيور صادق ونصير للاصلاح ومحب

للتقدم ووزير من ابناء هذا العصر بكل معاني الكلمة مثل سعادتهِ ولاسيما بعد ما اختبر في نظارة المعارف ما اختبر حتى عرف منها ما ظهر وما استتر واصبح اقدر من سواهُ على اتمام الاصلاح الذي ادخل الى المعارف قبلهُ واتمام الاصلاح الذي ادخلهُ اليها بنفسهِ والذي بذل الآن قوى عقلهِ وجسمهِ في ادخالهِ

وقد ازددنا رجاء بعد بقائهِ في منصبهِ انهُ يبلغ يوماً الشأو الذي يستحقهُ بكفاءتهِ وسعيهِ ومقدرتهِ ويدرك الغاية التي تليق بنفس كبيرة مثل نفسهِ ويخدم الامة الخدمة المرجوة من رجل في عقلهِ وعلمهِ ومقدرتهِ وهمتهِ

واما سعادة رشدي باشا فتعيينهُ للحقانية يسر كل من يحب وضع الامور في محلها اذ هو فاض في علمهِ واخلاقهِ واقوالهِ واعمالهِ ومعاملاتهِ فقد خلق للقضاء واعظم خدمة ترجى منهُ للحكومة والامة خدمة القضاء حيث قولهُ القول الفصل وحكمهُ لا يصدر الاَّ عن خبرة وعلم

واما سعادة محمد باشا سعيد فالحق يقال انهُ اظهر مقدرة ادارية عظيمة من وجوه عديدة مع وجودهِ في القضاء . ونحن ندعو لهُ بالتوفيق ونؤمل لهُ النجاح في منصبهِ الجديد الذي يتحمل فيهِ اعباء مسؤولية ثقيلة

واما سعادة سري باشا فكلامنا عنهُ يعد الآن تحصيل حاصل او كلاماً على غير طائل بعد المقالات والفصول والرسائل العديدة التي انشأَها المقطم والمقتطف في بيان صفات هذا العالم الهندسي العظيم والموظف الصادق الامين من عشرين سنة الى اليوم . وانما نقول ان تعيين سري باشا لنظارة الاشغال العمومية كان من قبيل اعطاء القوس باريها فانهُ لا يختلف اثنان من عارفي فضلهِ وقدر علمهِ انهُ من اليق ابناء مصر بهذا المنصب وانهُ انما تقلدهُ بكدهِ وجدهِ وعلمهِ وفضلهِ وحسن ادارتهِ وانهُ لو كان كل من يقلد منصباً يقلدهُ عن حق واستحقاق مثلهُ لكانت مصر قدوة سائر البلدان في تقليدها المناصب للاكفاء دون سواهم

وسعادة حشمت باشا موظف مجرَّب في سلك القضاء وسلك الادارة معاً وهو من ابناء مصر الذين امتازوا على الاقران في كبر الهمة وحدة الذهن وسعة الادراك فعسى ان نرى منهُ في منصبهِ الجديد اهتماماً يشعر بوجود القوة الوطنيَّة بجانب القوة الاحتلالية في نظارة المالية

غير ان الامرين اللذين تشكو منهما مصر الآن ولا ترى منجاة لها الاَّ بالنجاة منهما وهما الضائقة المالية واختلال الامن العام لا توفَّق هذه الوزارة الى ازالتهما الاَّ اذا اعادت هيبة الحكومة الى النفوس وازالت كل اسباب التهييج والاغراء فيخاف الاشقياء سطوتها وتعود اوربا الى ائتمان القطر المصري على اموالها كما كانت تفعل من قبل . ثم ان مجال

الاصلاح لا يزال واسعاً جدًّا ومعايش السكان لا تزال ضيقة وابواب توسيعها ميسورة ففي البلاد اكثر من مليون فدان تحتاج الى الترع والمصارف لزرعها . وسكك الحديد الموجودة لا تفي بعشر الحاجة . والتعليم لا يزال قاصرًا عن الغاية المطلوبة . والصنائع الوطنية لا تزال في مهدها وليس لدى هذه الوزارة شيء من المشاكل الخارجية فالامن في السودان موطَّد الاركان والنيل خاضع لارادة مهندسيهِ وعلاقات مصر مع كل البلدان الخارجية على غاية الصفاء والوئام فلا شيءَ يشغل بال هذه الوزارة عن الاهتمام بالمصالح الداخلية وعسى ان لا نسطّر لها الاَّ آيات المدح والثناء

عمارة اليابان

انشأت جريدة السينتفك اميركان مقالات ضافية بحثت فيها عن عمارات الدول البحرية الكبرى بحثاً مدققاً وقالت انها الآن على هذا الترتيب اقواها انكلترا وتتلوها الولايات المتحدة الاميركية فالمانيا ففرنسا فاليابان . اي ان اليابان بنْت الامس اصبحت الدولة الخامسة بين الدول البحرية الكبرى وفاقت روسيا وايطاليا والنمسا وهولندا واسبانيا وتركيا وكل ما سواهنَّ من الدول . هذا من حيث عدد البوارج والطرادات وكل السفن الحربية واما من حيث تمرُّن رجالها على الحروب البحرية فتكاد تكون الاولى بين دول الارض

ابتدأت هذه الدولة تظهر قوتها منذ عشرين سنة وكان اسطولها حينئذٍ مؤلفاً من ثلاثة طرادات في كل منها مدفع كبير قطر فوهتهِ ١٢ بوصة ونصف واحد عشر مدفعاً صغيرًا من المدافع السريعة الطلقات وطراد مدرَّع محمولهُ ٢٤٧٠ طنًّا وبهذه العمارة الصغيرة محقت اسطول الصين واظهرت من المهارة في ادارة سفنها ما ادهش اوربا . ولما قامت عليها فرنسا والمانيا وروسيا وانتزعنَ منها بورت ارثر التي غنمتها من الصين اخذ منها الغيظ كل مأخذ فدفعها الى بذل النفس والنفيس في تقوية بحريتها حتى لا تعود دولة من دول الارض تعتدي عليها وكان من امرها انها استطاعت بعد عشر سنوات ان تتغلَّب على الاساطيل الروسية وتمحقها محقاً

وكانت تبني بوارجها كلها في اوربا فصارت تبنيها الآن في بلادها واكثر بوارجها القديمة مبني في فرنسا والحديثة في انكلترا ولذلك هي اشبه بالبوارج الانكليزية منها بغيرها . وقد زادت همةً بعد حربها مع روسيا وبنت بوارج ليس اكبر منها بين بوارج الدول

الاخرى ولا اشد منها سرعةً ولا اثقل منها مدافع واعتمدت على آلة التربين الحديثة في تسيير بوارجها

وفي عمارتها الآن خمس عشرة بارجة من الطبقة الاولى محمول كل منها اكثر من عشرة آلاف طن عمر اقدمها ١٤ سنة وعمر اكثرها اقل من عشر سنوات ومحمولها كلها ٢٣٣ الف طن · اربع منها من طراز البارجة الانكليزية الكبرى المسماة دردنوط لم يتم بناؤُها حتى الآن

وفي عمارتها ايضاً ١٣ طراداً مدرَّعاً محمولها معاً ١٣٦٢١٢ طنًّا وكلها من الطبقة الاولى

وفيها اربعة طرادات من الطبقة الثانية محمولها ٢٣٣٠٠ طنًا وكلها محميَّة وسرعة بعضها ٢٢ ميلاً بحريًّا في الساعة و١٥ طراداً من الطبقة الثالثة وسفن أُخرى حربيَّة سرعة واحدة منها ٢٥ ميلاً بحريًا في الساعة وهي الطراد الروسي نوفك ومحمول هذه السفن الاخيرة ٥٢٠٢٥ طنًّا

وعندها كثير من المدفعيات والبوارج والطرادات القديمة وهي لا تحسب حسابها لبطء سرعتها وضعف دروعها · وعندها ٦٤ سفينة صغيرة من متلفات الطربيد سرعة بعضها ٣٥ ميلاً بحريًا في الساعة ومحمول بعضها ٣٥٠ طنًا و٩٥ من قوارب الطربيد

ومن غريب امرها ان البوارج التي غنمتها من روسيا اصلحتها ووضعت فيها مدافع كبيرة فصارت الآن اقوى مما كانت وهي عند الروس بل البوارج التي انتشلتها من عمق البحر اصلحتها وصارت الآن اقوى مما كانت قبلاً

والبوارج الاربع التي من طراز الدردنوط وهي تبنى في بلاد اليابان نفسها اثنتان منها قاربتا التمام ومحمول احداها ١٩٧٥٠ طنًّا ومحمول الاخرى ١٩٥٠٠ طن وينتظر ان تكون سرعة الاولى ٢٠ ميلاً بحريًّا ونصف ميل وسرعة الثانية ٢٠ ميلاً فقط فهي اسرع بوارج الدول ما عدا البوارج الانكليزية التي من نوعها · والبارجتان الاخريان اكبر من هاتين ومحمول احداها ٢٠٠٠٠ طن ومحمول الثانية ٢١٠٠٠ طن وستكون سرعة كل منهما عشرين ميلاً بحريًّا ونصف ميل

وبوارجها مدرعة بصفائح من الصلب من اثخن واصلب ما دُرّعت بهِ البوارج حتى الآن وفيها من المدافع من اكبر واقوى ما في البوارج الانكليزية او غيرها فالمدافع الكبرى قطر فوهة الواحد منها قدم انكليزية وطولهُ ٤٥ قدماً الى ستين قدماً · وكذلك طراداتها المدرعة من اقوى ما صنعتهُ الدول حتى الآن وعندها طرادان تبنيهما الآن محمول كل منهما ١٨٤٥٠ طنًا وستكون سرعة كل منهما ٢٥ ميلاً بحريًّا في الساعة ويكون فيهِ اربعة مدافع من

المدافع الكبرى وثمانية اصغر منها قليلاً وثمانية اخرى اصغر من هذه . وليس عند اميركا ولا عند انكلترا ما يماثل هذين الطرّادين في قوتهما

قلنا ان اليابان تعدُّ الآن الخامسة بين الدول البحرية من حيث نسبتها اليها من غير قيد ولكن اذا اعتبرنا ان مملكة اليابان واملاكها محصورة في بقعة واحدة في الشرق الاقصى وانها لا تضطر ان ترسل شيئًا من عمارتها الى البحار القاصية وان الدولة التي تقصد محاربتها تضطر ان ترسل بوارجها اليها كما فعلت روسيا ولا تستطيع ان ترسل اليها الاَّ بعض بوارجها فهي اقوى الدول البحرية في الشرق الاقصى اي انها اقوى من فرنسا والمانيا واميركا بل اقوى من انكلترا لان انكلترا لا تستطيع ان ترسل الى الشرق الاقصى الاَّ ربع اساطيلها او ثلثها على الاكثر فتكون اليابان اقوى منها فضلاً عن انها تحارب في عقر دارها ولذلك خطبت انكلترا ودها وعقدت معاهدة معها ولم تعد الدول الاخرى تذكرها الاَّ بالاحترام والاجلال بل صارت تخشى صولتها

ولا بدَّ لكل عثماني يقرأُ هذه السطور من ان يخطر على بالهِ امكان صيرورة دولتهِ دولةً بحرية كما كانت قبلاً ونرى كثيرين من اهل الغيرة والحميَّة يجاهرون بذلك وقد فاتهم ان البوارج والطرادات الكبيرة تحتاج الى نفقات تنوء تحتها الجبال فلا تبنى البارجة الكبيرة الآن باقل من مليوني جنيه ولا تقل نفقاتها السنوية عن مئة وخمسين الف جنيه . واليابان تنفق الآن على بحريتها ثلاثة ملايين وثلث من الجنيهات في السنة عدا الاعتمادات الخصوصيَّة لبناء البوارج . وعدد نفوسها نحو ٤٨ مليونًا من النفوس فاذا انفقت دولتنا العلية على هذه النسبة وجب ان تبلغ ميزانية البحرية العثمانية اكثر من مليونين من الجنيهات في السنة وهذا لا نستطيعهُ الآن ولا داعي اليهِ لاننا قوة برية لا بحرية وحسبنا ان نسعى اولاً في اصلاح بلادنا واستثمار خيراتها وتوفير موارد رزقها حتى يصير دخل حكومتنا ثلاثين او اربعين مليونًا من الجنيهات وحينئذٍ يسهل علينا ان نزيد قوتنا البحرية رويدًا رويدًا ولا سيما اذا انشأْنا دور الصنعة في بلادنا وبنينا بوارجنا فيها ولا بدَّ لنا قبل ذلك من محالفة دولة بحرية قوية كانكلترا نستعزُّ بها فنستفيد منها ونفيدها

وعمارتنا الآن لا تذكر في جنب عمارات الدول البحرية فالبارجة مسعودية التي جُدّدت حديثًا فيها مدفعان قطر كل منهما ٩ بوصات وعشران وعندنا اربعة طرادات محميَّة محمول كل منها ٣٢٧٠ طنًّا ومدرعات اخرى قديمة

خليل الخوري اللبناني

وُلد في ٢٨ نوفمبر (ت٢) سنة ١٨٣٦ م وتوفي في ٢٦ اكتوبر (ت١) سنة ١٩٠٧ م

لما انتشر رواق الأَمن في لبنان على اثر الفتوح العثماني قدم النصارى الحورانيون اليهِ ومنهم معظم الأُسر السورية واللبنانية . وكان بين الراحلين بنو زخريا فنزلوا حصن الاكراد ولما زاحمهم النصيرية بالمناكب جاؤُوا الكورة في لبنان ونزلوا قرية حامات على قمة رأس الشقعة فوق البترون وحكموا ناحية القويطع مدة واتصل بهم مصطفى بربر في اول امرهِ فكان من بطانتهم . ومن هذه الاسرة انتقل الخوري مخائيل زخريا الى الشويفات وخدم الانفس فيها وعرفت سلالتهُ ببني الخوري ومنهم المرحوم خليل هذا وشقيقهُ المرحوم سليم احد صاحبي آثار الأَدهار في الجغرافية والتاريخ ونفر آخرون مشهورون بآدابهم

ولد المترجم وهو خليل بن جبرائيل بن حنا بن الخوري مخائيل زخريا في الشويفات من قضاء الشوف واعمال متصرفية لبنان في الثامن والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٣٦ م وانتقلت اسرتهُ الى بيروت على اثر خروج المصريين من سورية وهو ابن خمس سنوات فدرس العلوم العربية في المدارس الارثوذكسية فيها وكثيرًا ما كان يحضر مجالس العلاَّمة الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني الحافلة بادباء ذلك العهد وكانت بينهما مودَّة وثيقة ومن رصفائهِ اذ ذاك المرحومان سليم دي بسترس واسعد طراد وغيرهما فاتقن العربية نثرًا ونظمًا ودرس الفرنسية والتركية على استاذ خاص فاتقنهما تكلمًا وكتابة وتعلق على نظم الشعر قبل الرابعة عشرة واجاد في غزلياتهِ ولم يطبع من ذلك الاَّ ما نظمهُ منذ الثامنة عشرة فما بعد وهو الدور الاول من حياتهِ الذي كان فيهِ شاعرًا فقط الى حوالي سنة ١٨٦٠ فبدأَت حياتهُ الصحافية ورافقتها حياتهُ السياسية فكان شاعرًا وصحافيًا وسياسيًا وسنبحث في كل نقطة من مثلث حياتهِ على قدر ما يحتملهُ المقام

"الشاعر"

نظم خليل الخوري الشعر في جميع ادوار حياتهِ ولم ينقطع عنهُ حتى مماتهِ تشهد بذلك دواوينهُ المشهورة بين مطبوعة ومخطوطة . وكان غزير المادَّة سيَّال القريحة وكان في اول عهدهِ قليل النظر في منظومهِ ولذلك ترى الركاكة ظاهرة في بعض قصائدهِ مع بلاغة وحسن تصرُّف مما يدل على قوة بادرتهِ وشاعريتهِ ولكن دواوينهُ اصبحت الآن عزيزة المنال لندرتها

فحبذا لو طبعت جميعها في ديوان واحد او انتخب نفيسها ولاسيما ما كان في الاغراض الجديدة فان غزلياتهِ رقيقة المبنى دقيقة المعنى فيها تصرُّف حسن وميل الى الجديد كما سترى في منتخباتها ولكن مديحهُ ورثاءهُ قلما خرج بهما عن الطريقة المألوفة عند من تقدمهُ من شعراء العرب فكثيرًا مما يسترسل الى المبالغة والتشابيه المتداولة الاَّ في بعض المواضع فانهُ احسن فيها التصرُّف وكسر قيود الاحتذاء واختط لهُ طرقًا بديعة الوضع جزيلة النفع مثل قولهِ في رثاء والدهِ جبرائيل ومدح دي لامرتين الشاعر الفرنسي وسليم دي بسترس . وتواريخهُ كثيرة معظمها رشيق لولا التزامهُ في بعضها القيود وادماج الاسم فتجيءُ احيانًا متكلفة . ومعظم قصائدهِ في مدح عظمة الدولة والسلاطين العثمانيين والوزراء ولاسيما ولاة سورية حتى سمي بشاعر الدولة واجاد في وصف الليل فسمي شاعر الليل ايضاً وكان رفيع المنزلة لدى شعراء الافرنج مثل دي لامرتين الفرنسي ولهُ فيهِ بعض القصائد وعرفهُ شعراء الترك والفرس والعرب . ولقد اعجب باسلوبهِ المستشرقون وترجموا بعض قصائدهِ الى لغاتهم ولاسيما المسيو رينو رئيس الجمعية الآسيوية في باريس ودي لاندا وغيرهما وذكرتهُ الجرائد الافرنجية وترجمت بعض منظوماتهِ ولاسيما الديبا (الباحث) والمورنن بوسط (البريد الصباحي) وفنيرا باندا بوسط ومجلة الجمعية الاسيوية الفرنسية وغيرها

وعلى الجملة فانهُ يعدُّ من مؤسسي الشعر العصري ان لم نقل انهُ اول من نقلهُ الى الاسلوب المستحدث فوضع لقصائدهِ عناوين يعرف منها مدار الكلام ومال الى الشعر القصصي كما سترى ولم يستجدِ بشعرهِ ولاقبل جائزة على منظومهِ حتى انهُ لما قدم قصيدتهُ (السعادة(١)) الى المغفور لهُ سعيد باشا الذي زار سورية سنة ١٨٥٩ م لم يقبل الجائزة المالية التي اختصهُ بها مثل غيرهِ من الشعراء بل كتب في جريدتهِ (الحديقة) انهُ نظمها ترجمانًا لعواطفهِ لا ترغيبًا لنيل مكافأة مالية فاعجب سعيد باشا بآدابهِ واشترك بخمسين نسخة من جريدتهِ الحديقة . ولقد كانت بعض قصائدهِ في السلاطين العثمانيين مدعاةً لانعامهم عليهِ ببعض الأَوسمة العالية كالوسام المجيدي الذي نالهُ سنة ١٨٦٢ م ولإبلاغهِ الرضى السلطاني بارادة سنيَّة مرارًا . ولهُ مراسلات ومساجلات مع شعراء عصرهِ ومدحهُ كثير منهم الشيخ ناصيف اليازجي في قولهِ من قصيدة :

أُخذت نحوي سبيلا   فسقتني   سلسبيلا
بنت فكر من خليلٍ   قد شفت مني غليلا

---

(١) راجعها في ديوانهِ العصر الجديد صفحة ١٠٢

ذقت منها منّ لفظٍ   كان بالسلوى كفيلا
ومعانٍ كنسيم الز   وض اذ هبّت أصيلا

والسيد عمر الانسي بقولهِ من قصيدة :

أمسى يصوغ حلى القريض بفكرةٍ   لا تخطئ المعنى البديع تدبرا
ونباهة بصفاء ذهنٍ رائق   لم يعدُ منهلهُ الشهيُّ مكدّرا

والشيخ ابرهيم الاحدب بقولهِ من قصيدة :

يا من سمت بمعانيهِ قوافينا   ونظم الفاظهِ أبدى القوى فينا
ونظّم الدرّ في سلك البيان على   ضوءٍ من الفضل فيهِ سار هادينا
وأصبحت شامةً بين البلاد بهِ   دمشقُ حتى بدت عُجبًا تباهينا

الى ان قال :

ولا محاجاة في نظم الخليل وما   أبداهُ معناهُ مثل الصبح تبيينا
لا يتعب الفكر في ادراك غايتهِ   ويرقص السمع بالانشاد تلحينا

ونقولا النقاش من قصيدة :

ان سكرنا من شعركم ليس بدعًا   حيث فيهِ شيءٌ كفعل المدامِ
أنت بحر العلوم والله بل أنـ   ـت امام نعمْ وأيُّ إمامِ

وسليم بك العنحوري الدمشقي من قصيدة :

أما أنت من قاد السياسات خبرةً   بفكرٍ لهُ في هام كيوان إيوانُ
أما أنت يا سامي التصوُّر واصف الطبيعة وصفًا منهُ جانٌ جاك حيرانُ
تذكّرنا فولتيرَ جودة نثرهِ   ويمتاز عنهُ منهُ دينٌ وإيمانُ
أما أنت من أحيا موات قريضنا   بطرز جديدٍ فيهِ للعلم برهانُ
أما أنت من غنّى بأغزال نظمهِ   فرَنسٌ واسبانٌ وروم ويونانُ
فهزّت لهُ أعطاف عربٍ وأعجمٍ   وترجمهُ للفخر روسٌ والمانُ
وناغت بهِ وُرْق الاراك ترنمًا   بكل أريضٍ فيهِ نخلٌ ورمانُ
قريضٌ لو انّ الله يسمعهُ لمن   قضى لتباهى البحتريُّ وحسّانُ
أغاريد شحرور نُسيمات سحرةٍ   قلائد عقيانٍ لآلٍ ومرجانُ
فدع عنك يافكتور هيكو تغطرسًا   وانت أيا راسين ربحك خسرانُ
ويا ابن دولامرتين قل لابيك صهْ   ففي حومة الميدان غيرك فرسانُ

ويا هوميروس اندب ونادِ بجهرة   شكسبير دعنا كان للفخر أزمانُ

والمرحوم الياس صالح كنعان البيروتي بقصيدة منها :

حتامَ تبغي للفخار سبيلا   أفما شفيت من الفخار غليلا
وإلام تجنح بالكمال الى العلا   أفما بلغت من العلا المأمولا

ومنها

واليك مني ذي العروس فانها   جاءتك ترجو المهر منك قبولا
بكرٌ ترى فيك المديح فضيلة   ولئن رأيت بها القريض فضولا

ولقد حان لنا الآن ان ننتخب من دواوينهِ المطبوعة ما يدل على شاعريتهِ فاولها (زهر الربى في شعر الصبا) طبع سنة ١٨٥٧ ولهُ فيهِ تفننات بديعة مثل قولهِ من قصيدة (النقد الصحيح)

وكم شاعرٍ في الناس قد صار شعرهُ   ولم يدرِ فيهِ ما يرى ويقولُ
خليليَّ ان الشعر من كل قائلٍ   كثيرٌ ولكنَّ الصحيح قليلُ
وفي الشعر لفظٌ دون معنىً كأَنهُ   فعولن مفاعيلن فعولُ فعولُ
رويدك ليس الشعر ارثاً وانما   لكلِّ مجدٍّ في الطريق وصولُ
ملكناهُ بالجد العظيم وقد غدت   لنا غرر مشهورة وحجولُ

وقولهِ يجيب فضل الله بسترس على رسالة من قصيدة :

هذا صبا بيروت نحوك قد سرى   اهلاً بهِ فلقد اتاك مسلّما
حال اشتعال الافق حيث نجومهُ   ظُنت عيون المسكرات توهُّما
وغيومهُ مثل الرداء كأَنها   قد أُرسلت للبدر كي يتلثما
ما ذاك بدرًا بل خيال حبيبتي   قد لاح مرتسماً بمرآة السما

وقال

كالكهرباء رأيتُ ذكر احبتي   تهتزُّ منهُ سلاسلي وعظامي
بتأثرات في الحواس عميقةٍ   خفيت عن الابصار والافهامِ

وقال يخاطب الشاعر الفرنسي دي لامرتين الشهير من قصيدة ترجها بالفرنسية المسيو رينو المستشرق الفرنسي

لك بالحقائق خبرة واصابةٌ   وعن المعارف مقلةٌ لم تهجعِ
لو أنزل الله العليُّ بعصرنا   وحياً لجئت مخبرًا بالمزمعِ
فلقد علوت بروح شعرٍ فائقٍ   هبطت عليك من المحل الارفعِ
قد قادني للشعر شعرك اذ حلا   ورأيتهُ يدعو فلم أتمنعِ

هذَّبتَ افكار العباد ولم تزل   تجري العظائم من فؤاد المبدعِ
وجلوت انوار العلوم لذاك قد   كُشفت عن الابصار حجب البرقعِ
ابديت ميدان البلاغة واسعًا   فيهِ يقصّرُ كل سارٍ مسرعِ
تتسابق الافكار في ساحاتهِ   وبمثلهِ الالباب لم تتمتعِ
ترد الانام الى فوائدهِ كما   ترد العطاش الى زلال الانبعِ

ومدح المسيو رينو على ترجمتهِ هذه بقصيدة نشرها في (العصر الجديد) منها :

شكرًا لفضلك قد مننتَ بخطبةٍ   جاءت تنبّهُ في حمانا الأَعينا
لم نخترع نحن الجديد وانما   من فضل نور الغرب جددنا السنى
اهدى لنا انوارهُ شفافةً   فازداد نورُ الشرق اذ سطعت هنا
ومنها اهديت مرآةً قد ارتسمت بها   افكارنا فغدت تزينها لنا
اكسبت شعري رونقًا وطلاوة   والراح يشرق كلما لطف الانا
قد ردَّ منك الى رُبى الشرق الصدى   فجلا مسامعنا واطرب بالغنا

اما النبذة الثانية من شعرهِ فهي (العصر الجديد) طبعهُ سنة ١٨٦٣ وهو اكبر دواوينهِ وادقها تصرفًا بالمعاني الجديدة ومن محاسنهِ قولهُ في الفجر من قصيدة :

نبّه لحاظك فالصباح قريبُ   وانظر شعاع الشرق فهو عجيبُ
قد أُشعلت ارجاؤُهُ وتذهَّبت   ابوابهُ فانا لذاك طروبُ
فانظر ترَ الامواج تحت ضيائهِ   لعبت والوان المياه ضروبُ
والفجر يخطو اثر اقدام الدجى   فانساب منهزمًا وراح يذوبُ
والشمس قد نشرت بيارق نورها   فوق الشطوط وللنسيم هبوبُ
واصطفت الاطيار جندًا فوقهُ   منها لتسبيح الاله خطيب
والنسر سار الى العلاء كأنما   في الغيم اصبح وكرُهُ المطلوبُ
ما زال يخفق بالشعاع جناحهُ   حتى طواهُ في السحاب مغيبُ
هذا الصباح شبيه فرق حبيبتي   تمثال رونقها بهِ مكتوبُ

وقال يصف البحر والسفينة من قصيدة اخرى

وحيثما أنَّة الشاطي الحنون بدت   تساعد الصبَّ فيما ليس ينفعهُ
فاَصغي بهِ لحنين البحر منتحبًا   كأَنهُ يشتكي بينًا يودِّعهُ
والشطُّ مدَّ ذراعيهِ على ظمإٍ   يعانق البحر والامواج تصفعهُ

تُلقى على صخرهِ الفضيّ موجتهُ   وتنثني بعدما بالقرب تلطمهُ
كغادةٍ صادفت محبوبها فغدت   تدنو اليهِ دلالاً ثم تمنعهُ
وللسفينة من تحت الشراع بدا   سيرٌ عجيبٌ يظلُّ الطرف يتبعهُ
كذات حسنٍ سرت تحت الازار وقد   رامت دلالاً فماست وهي ترفعهُ

ومنها يصف الطبيعة والفلك:

وفي الطبيعة اسرار منوّعةٌ   تهدي الى الفكر تنزيهاً يتّبعهُ
كأنما الليل في اثناء سكنتهِ   يصغي لشيءٍ اليهِ مال مسمعهُ
كأنما كروات الافق اذ سطعت   جزائر من لهيب جلّ مبدعهُ
والنور في قطرها الشفّاف مرتعدٌ   يخشى السقوط كأن الافق يدفعهُ
هذي زهور السما في الافق ناضرةٌ   تُلقي على البحر انواراً تلمعهُ
وفي المجرَّة جمهورٌ لهُ عددٌ   من الكواكب لا يحصى تنوُّعهُ
مثل البساط من الديباج قد نظمت   فيهِ اللآلي على وشيٍ ترصعهُ
والبدرُ مدّ شراع النور منبسطاً   على العلى وهواء الافق يرفعهُ
كأنهُ وجهُ خودٍ لاح ملتفتاً   نحو الحمى وغشاء الغيم برقعهُ
امسى يلاحظنا في سيرهِ عجباً   وأُختهُ جانبي بالسرّ تطلعهُ

ومن اغزالهِ وصفهُ للغرام من قصيدة

خضعتْ لسلطان الغرام شبيبتي   فاذا نهضت لخلعهِ لا اسلمُ
في كل جارحةٍ بدا تأثيرهُ   مني كأن العشق في جسمي دمُ
حاولتُ تسلية الفؤاد وانما   داعي الجمال على المحبة يرغمُ
خلق الجمال مكيدة لبني الورى   فمن الذي بالعشق لا يتألمُ

ولهُ اوصاف رائقة منها وصف غاب الصنوبر في بيروت ووصف لبنان ومصر والقطار الحديدي والبدر والليل والبحر وصور واللغة العربيَّة والنيل ولبنان

ومن اوصاف الليل التي اجاد فيها كل الاجادة حتى لقب بشاعر الليل قولهُ من قصيدة:

في ليلة القت عليّ سكوتها   فلقيتُ فيها للتوحُّد مغنما
أمري على ولهٍ وحولي في الدجى   ما يستحق بأن أُطيل توسُّما
مقَلُ السما سهرت تراقب كوننا   اذ نام في احشاء ليل أظلما

وقولهُ من أُخرى :

فأرَّقني ليلٌ كأنَّ ظلامهُ   دُخان فؤادي والنجوم شرارهُ
قطعتُ دجاهُ شاردًا ساهيًا بهِ   كذا كل محزون يطول افتكارهُ
الى أن عرت زهر الكواكب نفرةٌ   و بدر العلى للافق مال انحدارهُ
وصبغ الدجى في الغرب حال ظلامهُ   وجنح الضيا في الشرق لاح منارهُ

وقال في شعراء العرب من قصيدة :

ان اهل الشعر قومٌ ابدلوا   لذة الحسّ بكثر الهجس
يعشقون الحسن لكن عندهم   مقصد العشق لغير الملمسِ
يعشقون الغاب او وجه السما   او رياضاً اخصبت في المغرسِ
فأحبوا العين لما نظروا   اخذها معنيً لزهر النرجسِ
واذا لاح جمال انشدوا   ان هذا الوجه بدر الاطلسِ
نسبوا الوجه على غير هدًى   لجماد عمرهُ لم يحسسِ
شبهوا القدَّ بغصن في النقا   يعتريهِ القطع ان لم ييبسِ
شبهوا النهد برمان ولو   ما اكتفوا قالوا شبيه الجَبَسِ
احسنوا لو صمتوا عن وصفنا   معجزات الله ما لم يُقَسِ

وقد عرَّب قصيدة لامرتين الشاعر الفرنسي بقصيدة عنوانها (صباح مبارك) صفحة ٢٣٨ وهي التي عرَّبها نظماً كاتب هذه المقالة ونشرت في الضياء (٣ : ٤٦) بعنوان (الفتاة الحلبية) ومن تفنناتهِ قولهُ

يلوح برق ثناياها فيرقصني   اذ قد يرجّف اغصاني تكهربهُ

وقولهُ من موشح رقيق

ليت صدري كان لجات البحارْ   ويدي دولاب ذيَّاك البخارْ
وفؤادي مركب فيهِ يُسارْ   ولهُ من نَفَسي الريح يُعارْ
يحمل الحبَّ الى حيث المقرْ

وقولهُ من ابيات

يا ايها الفرق الذي نَفَسي غدا   عنهُ يزيل غشاء دجنٍ خيما
صوّر جمالك في عيوني انها   لوحٌ أمام شعاع نورك حُكما

وعلى الجملة فالعصر الجديد مثل اسمهِ عصر جديد للشعر العربي السوري وهو اول ديوان

نقل فيهِ الشعر من النمط القديم الى الاسلوب الجديد · ومن استقرى قصائدهُ رأى فيها من المعاني الحديثة ما يشهد لهُ بحبهِ للجديد ومحاولتهِ ترك القديم وان كان لم يستطع ان يتخلص من ربقتهِ ويقطعها· ولقد ميز قصائدهُ بعناوين تدل على اغراضها وتابعهُ في ذلك نفر من شعرائنا مثل فرنسيس المراش الحلبي في ديوانهِ (مرآة الحسناء) وسليم بك العنحوري الدمشقي في ديوانه (سحر هاروت) وغيرهما

ومما طبع في هذه السنة وانتخبت قصائدهُ من العصر الجديد كتاب (النشائد الفؤادية) وهو المدائح التي قدمها المترجم الى فؤاد باشا المعتمد السلطاني في سورية وكان هو من رجال معيتهِ وصدرها برسمهِ وبلمعة من ترجمتهِ وما جرى بعهدهِ في سورية وتنظيم متصرفية لبنان وبعض الفرمانات الشاهانية وفيهِ قصيدة جارى فيها الاوزان الفارسية مطلعها :

ألا فلتعلم الدنيا بانك انت اوحدها   بآدابٍ والطافٍ واحكامٍ تشيدها
غمرتَ الناس بالاحسان والانصاف مرحمةً   لذا كافاك بالحسنى مليك الارض سيّدها
أتتكَ اليوم منحتهُ تنادي وهي باسمةٌ   هنا للمجد منزلة لمثلي طاب موردها

والنبذة الثالثة هي (السمير الامين) طبع في بيروت سنة ١٨٧٦ م ومن منتخباتها قولهُ في وصف مصر من قصيدة

يا مصر حيّاك الحيا فلقد زهت   فيكِ الحياةُ ونلتِ اعظم شانِ
اصبحتِ قاهرة الدهور لانها   هجمت عليكِ فردَّها الهرمانِ

ومنها في وصف البخار وهو اول من وصفهُ في ما نعلم من شعرائنا

حيث البخار اطار راحلتي التي   كالبرق قد سارت بغير عنانِ
فهناك من قضُبِ الحديد مسالكٌ   تجري بها العجلات كالغدرانِ
بركانها السيَّارُ غار بركبنا   فعجبت من ركب على نيرانِ
يا ايها الشرقيُّ هل تلقى اذا   حملتك غير تعجب الحيرانِ
ام تذكرنَّ على الهجين مراكباً   نقلتك تحت حماية الهجَّانِ
ومنها   لا بدَّ من خوض البحار مرافقاً   طير البخار يجدُّ في الطيرانِ
فارى من الاسكندرية طلعةً   هي في المقام طليعة البنيانِ
وارى المنارة بالبشارة تزدهي   للقادمين مشيرة بأمانِ
وارى طواحين الهواء كأنها   تدعو الغريب لمنزل الضيفانِ
وارى على الشاطي مسلتهُ التي   وقفت بهِ تمحو الزمانَ الفاني

وارى لتذكار الفراعن فوقها   رمزًا يبين عناية اليونانِ
نقلت بهمتهم لزينة ربعها   ونظيرها لاعاظم البلدانِ
هي ابرة الذات التي اشتهرت بها   لكنها وضعت لغير بنانِ

وقال متلاعبًا من قصيدة في (الشاديات) وهي النبذة الرابعة من شعرهِ المطبوع سنة ١٨٧٥

بكل فوهْ عيني قمتُ انظرها   كأن روحي اقامت في ضيا نظري
فارسلت دمعها واحمر ناظرها   حتى رأيت امتزاج الماء بالشررِ
وكان في قلبها صوتٌ ترددهُ   وليس يسمعهُ غيري من البشرِ
فقمتُ اظهر من خوفي لها جلدًا   كأنما تحت جفني مقلة الحجرِ

ولهُ في هذا الديوان القصيدتان المشهورتان (العناب والرمان) و (جميلة) وهما اللتان ذكرتهما جريدة الديبا الفرنسية وعرّب كلامها فقيد الادب المرحوم اديب بك اسحق في الدرر : نقتطف منهُ ما يعرّف القصيدتين

" ومع ان الشاعر الجليل لم يتجاوز الاربعين من السنين فديوانهُ كبير يشتمل على قصائد لا تحصى منها ما نظم على طريقة القدماء ومنها ما مال بهِ الى الجديد وهو وان كان لا يتجرأ على قطع صلات التقليد بجملتها فهو جدير بالثناء على اجتهادهِ فقد رأيناهُ متجافيًا عن استعمال المبتذل من التشبيه مائلاً الى استبدال مرئيات الاعصر الخالية بعجائب العصر الجديد "

والنبذة الخامسة من ديوانهِ هي (النفحات) طبعت في بيروت سنة ١٨٨٤ ولهُ فيها قصيدة اجاب بها راشد باشا ناظر الخارجية عن قصيدة تركية رثى بها اخاهُ سليماً ومنها

اشجاك حزني والألم   وجزعت مما بي ألمّ
ايقظتني في وهدة الحزن الشديد ولم انم
فسمعتُ شعرك شاديًا   يشجي حمامات العلم
ترثي سليماً نادبًا   غصنًا بروضتهِ انقصم

ومن قولهِ في حفظ السرّ

لا تخشي انني يومًا ابوح بها   اباحة السرّ عارٌ غير مرتحلِ
حفظ اللسان كحفظ الدين احسبهُ   وخائن القول عندي خائن العملِ
يمازج السرُّ في صدري دمي فهما   مركّبٌ لا تجزّيهِ يدُ الحيلِ
يحافظ السرَّ في حال الرضى حذرٌ   عندي فيبقى مصانًا في حمى الأملِ

ومن آخر اشعارهِ التي لا تزال خطًّا قصيدة تلاها يوم عيد الجلوس الهمايوني وتدشين سكة الحجاز واصفًا الثانية بقولهِ :

فكان الشام مفتخرًا شكورًا لما نال الحجاز من الهباتِ
حباهُ معجزات العصر تسعى على عجلٍ لأرض المعجزاتِ
تضمُّ ربى فلسطين لنجدٍ لسفح منى بسلسلة الصلاتِ
وتجعل ثغر بحر الروم شوقًا يقبّل جيد ضفّات الفراتِ
مدائن صالح تسري اليها مدائن بالحديد مشيداتِ
واعمدة البخار بها تحاكي منائر للمناسك داعياتِ
يسير بها الحجيج على ازدحامٍ يريك الموج ضمن المركباتِ
قوافل في الفدافد ساريات نواقل للجبال الراسياتِ
عظائم تدمرٍ اضحت لديها اثافيَّ في قفارٍ صاغراتِ

ستأتي البقية

تفوُّق العقول

قرأت الرواية التالية في مجلة العالم الانكليزيَّة وهي حقيقية ولو وضعت لها اسماءٌ مصطنعة فترجمتها فكاهة لقراء المقتطف سليم الخوري

بقلم سكرتير مالي السودان

لما بلغ اورلوف الثامنة عشرة من عمرهِ توفي والدهُ وكان مستخدمًا في احدى شركات التعدين فلم يترك لهُ مالاً يذكر فاضطر ان يعيل والدتهُ وشقيقتهُ اذ لا ركن لهما سواهُ ولم يكن واسع الاختبار في دنياهُ ولكنهُ كان ثاقب الفكر بعيد النظر فرسخ في ذهنهِ انهُ سيقلد وظيفة سامية يستطيع بها القيام بحاجيات عائلتهِ وراحتها وكان يعرف خمس لغات واعلن عن نفسهِ في الصحف فنال وظيفة في معمل كبير الاَّ ان اجرتهُ لم تكن مساوية لمعارفهِ واتعابهِ الشاقة وغير كافية لان تقوم بنفقات عائلتهِ فترك المعمل بعدما استخدم فيهِ يومين فقط

وقرأ ذات يوم اعلانًا في احدى الصحف ان شركة من شركات التعدين في القوقاس تحتاج الى شاب لهُ المام بالكتابة والحساب ويعرف اللغة الروسية جيدًا . والطلبات تقدم

الى مدير الشركة في باكو. فقدَّم طلبًا فقبل فيها براتب قدرهُ عشرون ريالاً في الشهر والشركة فرنسوية ايطالية

فسافر الى محل عملهِ وكلهُ آمال وقد قال لوالدتهِ وهي تودعهُ على المحطة سابذل جهدي يااماهُ لادرك النجاح هذه المرة وثقي بانني ساصير موظفًا كبيرًا في هذه الشركة · فقبَّلتهُ والدموع تذرف من عينيها ولكنها اظهرت الجلد · ولما مشى القطار شيعتهُ بابتسام كانها تشجعهُ وتشدد عزائمهُ · ثم عادت الى بيتها والحزن آخذ منها كل مأخذ لفراق وحيدها لاسيما وان هذا الفراق كان الاول ووصل ابنها الى محطة باكو والشمس آذنة بالمغيب فقصد قهوة المحطة ليتناول قليلاً من الطعام وكانت امارات الكآبة والهموم تعلو محياهُ لانهُ قضى ساعات سفرهِ مفكرًا في والدتهِ وشقيقتهِ وحالهما بعد سفرهِ وشغل بالهُ ايضًا ان راتبهُ الشهري الذي سيتناولهُ لا يكفيهِ لقوتهِ الضروري · وما زالت هذه الافكار تجول في خاطرهِ الى ان دخل القهوة غريبان وجلسا قبالتهُ من غير ان يلتفتا اليهِ وجعلا يتكلمان باللغة الايطالية وكان يعرفها جيدًا فتناقشا في امور سياسية وانتقلا الى العمال في روسيا فقالا ان اجرتهم من ابخس اجور العمال في العالم · ولم يدر في خلدهما ان ذلك الغلام البائس يفهم الايطالية لانهُ قوقازي والقوقاز بعيدة عن ايطاليا ولا تزال في طور الخشونة · فقال احدهما ودليلنا على بخس الاجور اننا ننتظر اليوم شابًا روسيًا استخدم في شركتنا بعشرين ريالاً في الشهر ولا بد ان يكون كاتبًا ماهرًا كما هو المشهور عن شبان الروس وسننتفع بمعارفهِ كثيرًا · وسنربح من عملهِ اضعاف راتبهِ . فلزم اورلوف الصمت مع انهُ ادرك حالاً انهُ هو الشاب المقصود وان مخدميهِ عازمون على اجهادهِ وهضم حقوقهِ · فقال في نفسهِ سنرى من الذي يفوق الآخر أأنتم ايها الايطاليون الاغبياء ام انا الغلام الروسي . لقد جئتم الى بلادنا لكي ترقوها وتستعمروها ولكن لنفع انفسكم ولا لوم عليكم في ذلك وانما لاحق لكم ان تربحوا من اجهاد عقولنا وتحرمونا ما يقضي بهِ العدل والانصاف · ثم خرج الرجلان وخرج هو في اثرهما وقصد محل الشركة ومثل بين يدي المدير فقال لهُ

— كم تبلغ من العمر يا بنيّ

— تسعة عشر عامًا يا سيدي

— اظنك فهمت ان راتبك عشرون ريالاً في الشهر

— نعم

— اذن تعال غدًا وابدأ بالعمل وساعات العمل عندنا من السابعة ونصف صباحًا الى

السابعة مساء · هل تعرف لغة اجنبية

— لا اعرف غير الروسية والبولونية

— كنت اظن ان جميع شبان الروس يتكلمون الفرنسوية والالمانية وانكليزية

— اود من صميم قلبي ان اعرف هذه اللغات واظن انني لو كنت اعرفها لكنت انال مئة ريال راتباً شهرياً

— طبعاً كنت تنال · فتعال غداً الساعة السابعة ونصفاً صباحاً لاستلام اعمالك

فشكرهُ وخرج · وبينما هو سائر كان يناجي نفسهُ قائلاً لقد صار هذا المدير في قبضة يدي وساذكّرهُ بوعدهِ وهو اعطائي مئة ريال في الشهر متى اريتهُ انني اعرف اللغات التي ذكرها اما الآن فساقنع براتبي واتقن عملي

وكان الاجتهاد خلقاً فيهِ فيقضي سحابة يومهِ مجدًّا مكدًّا بهمة لا تعرف الملل وكان ينسخ التحارير التي باللغات الاجنبية ويقول انهُ يرسمها رسماً ولا معرفة لهُ بتلك اللغات · ومضى عليهِ نحو عام وهذه حالهُ ولم يخبر المدير انهُ انهُ يعرف تلك اللغات حاسباً ان الوقت لم يحن لذلك

وحدث ذات يوم ان المدير ناولهُ تلغرافين ليبعث باحدهما الى فرنسا والآخر الى ايطاليا يدعو فيهما مديري الشركة وكبار مساهميها الى الاجتماع للمداولة في امر هام يتعلق باعمال الشركة · فارسل التلغرافين وفي صدرهِ نار للوقوف على ذلك الامر · وسمع يوماً رئيس مهندسي الشركة يكلم المدير منفرداً وامامهما خريطة كبيرة وقد عُلّم على بعض المواضع فيها بقلم احمر وكان امامهما حجارة يظهر للناظر ان فيها مقداراً وافراً من الحديد

وكان المدير والمهندس يتكلمان بالايطالية فعرف من حديثهما انهُ اكتشفت ارض تحوي كثيراً من الحديد · فادرك ان التلغرافين اللذين امرهُ بارسالها متعلقان بهذه الارض فقال في نفسهِ لقد حان الوقت لان اصير غنياً وذلك بابتياع الارض قبلهم من صاحبها ومشاركتهم في استخراج الحديد منها

وخرج عمال الشركة في المساء الاَّ اورلوف فانهُ تظاهر ان لديهِ اعمالاً متراكمة وكثيراً ما كان يفعل ذلك قبل الآن لا قصد المظاهرة ليكون المدير راضياً عنهُ وانما كان يعمل حقيقةً ولو لم يكافئهُ المدير على اجتهادهِ · فلبث الآن بضع دقائق مكبًّا على عملهِ ولما تأكد انهُ لم يبقَ احد غيرهُ في المكتب دخل غرفة المدير وكانت الخريطة لا تزال على

المائدة فجعل يتأملها حتى تمكن من معرفة الجهة المُعلم عليها بالقلم الاحمر ورسم الخريطة رسمًا يستطيع بهِ معرفة بقعة الارض المرموز اليها واخذ حجرًا من الحجارة وكانت لا تزال على المائدة وانصرف الى منزلهِ . وسهر معظم ليلتهِ وهو يفحص الحجر و يمعن فيهِ النظر وما تبلج الفجر حتى كان على محطة السكة الحديد فارسل الى امهِ التلغراف التالي

" ارسلي لي كل ما تستطيعين ارسالهُ من النقود بيعي حلاكِ وحلى شقيقتي اذا دعت الحال وبعد يومين اشرح لكِ فالمشروع عظيم الشأن اسرعي اسرعي "

وكان يعلم حب والدتهِ لهُ وثقتها بهِ وقال في نفسهِ لا بد ان ترسل اليَّ النقود التي طلبتها ولكن ما العمل اذا كان المهندس مخطئًا في بحثهِ . ألا اكون قد خاطرت بمالها وجلبت عليَّ وعليها الشقاء بدلاً من السعادة بذهاب ثمن الارض جزافًا

ولما وصل التلغراف الى امهِ قالت في نفسها ان ابني لا يطلب هذا الطلب الأ لمشروع خطير الشأن فالساعة السعيدة التي طالما حدَّث نفسهُ بها وهدس قد دنت فطب ياولدي نفسًا فسوف احقق املك

وفي اليوم التالي جاءهُ ساعي التلغراف وهو في مكتب عملهِ بثلاثة تلغرافات منها اثنان للمدير وواحد لهُ ففضهُ وقرأهُ مبتسماً وهو " ارسلت لك الفي ريال وادعو لك بالنجاح " والدتك

ودخل على المدير بعد نصف ساعة واستأذنهُ في الغياب عن العمل بعد الظهر لقضاء اعمال خاصة بهِ ولما كان الشغل في ذلك اليوم قليلاً لانهُ كان على روءساء الاقلام ان يتداولوا في المشروع الجديد اذن لهُ في الحال . فالتهم غداءهُ وهو غير مصدق وقصد مكتب البوستة حيث قبض الحوالة واكترى عربة الى الجهة المقصودة فسارت بهِ نحو ساعتين حتى وصلت الى بيت حقير من بيوت الفلاحين فدخل البيت ووجد فيهِ رجلاً كهلاً جالسًا مع زوجتهِ فحياهما بلطف فردا التحية باحسن منها وقدما اليهِ كرسيًّا فجلس عليهِ وقال ان وقتي قصير جدًّا لانني اروم العودة الى المدينة باسرع ما يمكن وقد اتيتكما لامر لكما منهُ ربح . فابتهج الرجل وقال لهُ اظنك آتٍ لشراء الغنم لانهُ يربي غنمًا ويبيعها . فقال لا وانما جئت لاشتري شيئًا آخر وهو ارضك . فانذهل الرجل من ذلك لانهُ لم يكن يخطر على بالهِ ان احدًا يفقد رشدهُ و يشتري منهُ ارضًا جرداء لا ينبت فيها شيءٌ ثم قال اورلوف نعم جئت لاشتريها وسانقدك الثمن في الحال . فابرقت اسرة الرجل ورمقهُ بعينين ملئهما السرور واخذ يتفرس فيهِ تارة و ينظر الى امرأتهِ اخرى واورلوف يطلب منهُ الجواب ثم قال يا عماهُ أتريد ان

تبيعني الارض ام لا — ان كنت لا تريد فقل ذلك واسرع ليتسنَّى لي الذهاب الى احد جيرانك واشتري منهُ ارضاً غيرها · فقال الرجل اروم ذلك من صميم فؤَادي ولكن استغرب جدًّا كيف يخطر على بال مخلوق شراء ارض لا فائدة منها قال هذا واشار الى الارض بيدهِ فانتهرتهُ زوجتهُ وقالت لا تصدقهُ فالارض جيدة جدًّا وهي سهلة الاصلاح وهمست في اذن زوجها قائلة اسكت · اما الشاب فتظاهر بعدم المبالاة وقال كم تطلب ثمنها يا عماه. فقالت زوجتهُ لا تخاطب زوجي فهو لا يعرف الاَّ ان يبيع الغنم والبيض فاعطنا الف وخمس مئة ريال وبارك الله لك فيها · فتوقف اورلوف قليلاً كأنهُ يفكر في الامر ثم قال قبلت ان ادفع لكما هذا المبلغ وسأدفعهُ في مكتب مسجل الاراضي ومعي الآن عربة في انتظاري · فلنركبها الى المدينة سويَّة · وما كادت المرأة تسمع ذلك حتى ارتدت ثوباً احمر وربطت رأسها بمنديل اصفر وقالت لهُ هلمَّ يا سيدي . اما زوجها فكان واقفاً حائرًا لانهُ لم يكن مصدقاً فهمس في اذن امرأَتهِ قائلاً اما ان نكون في حلم واما ان يكون هذا الشاب قاصداً الضحك علينا والاستهزاء بنا . فانتهرتهُ وقالت اسكت وتعال معنا فارتدى خير ملابسهِ في الحال وجاء بحجة الارض وركب الثلاثة العربة وبعد ساعتين وصلوا مكتب المسجل حيث عملت الاجراءات الرسميَّة وصارت الارض ملكاً شرعيًّا لاورلوف وحمل الفلاح رزمة من الاوراق المالية بمبلغ الف وخمس مئة ريال وقال لهُ اورلوف لا بأس ان تبقى انت وامرأَتك في البيت الذي في الارض الى ان اعلنكما بتركهِ · فقبَّلا يدهُ وسارا وسار هو الى منزلهِ

⁂

انبأ التلغرافان اللذان جاءا مع تلغراف اورلوف من مديري الشركة بانهم قادمون وقد عينوا يوم الاثنين التالي للاجتماع فزاد الشغل في المكتب لكي يروا كل شيء مستكمل النظام واشتغل اورلوف بهمة ونشاط كسابق عادتهِ حتى سرَّ رئيسهُ منهُ سرورًا عظيماً فوعدهُ بابلاغ راتبهِ الى ثلاثين ريالاً في اول العام المقبل فشكرهُ على ذلك

وجاء يوم الاجتماع ودخل المديرون وكبار المساهمين والمهندسين الى غرفة متسعة واخذوا يتباحثون ويتذاكرون نحو خمس ساعات فقر رأيهم على شراء تلك الارض وقرروا المال اللازم للمباني والآلات والاماكن التي يضعون فيها الوابورات ويحفرون المناجم الى غير ذلك وان يذهبوا كلهم بعد مناولة الشاي الى الارض ليروها ويشتروها ولم يطل الوقت حتى سارت بهم اربع عربات الى تلك الارض

اما اورلوف فبقي في مكانهِ يشتغل ولما رآهم خارجين منشرحي الخاطر امتلأَ صدرهُ املاً وسرورًا وهنا ظهرت قوة الفكر ودنت ساعة مباراة العقول وكان اورلوف يعلم علم اليقين انهُ اذا بقي مستخدمًا عندهم لم يكن الأ آلة تتعب ليكسبوا وتجتهد ليربحوا فرأى ان يعاملهم بالمثل

ولما دنا وقت اقفال المكتب عاد جماعة المديرين والمساهمين والكآبة تعلو وجوههم وامارات السخط بادية على اساريرهم . وارسل المدير اليهِ فدعاهُ الى مكتبهِ حيث كان الجميع في انتظارهِ والقلق سائد عليهم ولما مثل بين ايديهم قال لهُ المدير أتعرف رجلاً اسمهُ مثل اسمك قد اشترى قطعة ارض من الفلاح كاربوف

— نعم اعرفهُ

— هل هو من اقاربك

— لم تحزر تمامًا وانما هو انا

— ماذا تقول انت — ولماذا اشتريت هذه الارض

— لانهُ توفر لديَّ مبلغ من النقود فاشتريت بهِ ملكًا وزد على ذلك فاني كنت ابحث في تلك الجهات فتبين لي ان هذه الارض تحوي حديدًا فاشتريتها من صاحبها

— فهمت — ولكن هل تبيعها اذا طلبتها منك الشركة التي انت في خدمتها

— طبعًا ابيعها بكل سرور ولكن بربح

فاجابهُ المدير بكل لطف وتؤدة لا ريب في الربح يا صديقي . ثم نظر الى الحاضرين وترجم لهم ما دار بينهُ وبين اورلوف لانهُ كان يكلمهُ بالروسية ثم التفت الى اورلوف وقال ما هو الثمن الذي تطلبهُ بهذه الارض

— ان ذلك يتوقف على رأس المال الذي ستقررونهُ للتعدين فيها

— لم افهم قصدك تمامًا من هذا

— الامر بسيط يا سيدي فاني اعني بان ابيع الارض لكم بنصف رأس مال مشروعكم فما يخصني يدفع لي نصفهُ نقدًا والنصف الآخر اسهمًا اساسية

— لا ريب انك مجنون

— ربما اكون كذلك يا سيدي ولكني لا اصدق انك تعني ما تقول ومع هذا فانك لم تدعني اكمل شروطي في هذا البيع فزيادة عما طلبتهُ اريد ان أُعيَّن مديرًا دائمًا للمشروع

— مديرًا

— نعم يا سيدي فهذه هي شروطي ولا ابيع الارض بابخس مما طلبت

فالتفت المدير الى الحضور وترجم لهم ذلك . وليتصوّر القارئ الدهشة والاضطراب اللذين استوليا عليهم اما اورلوف فكان واقفاً هادئاً ساكناً وعلى وجههِ علامات السلطة والاعتماد على النفس ثم التفت اليهم بغتة وخاطبهم باللغة الفرنسوية بلهجة فصيحة وقال

ايها السادة اظن انكم نلتم مزية لم ينلها غيركم وهي اعطائي اياكم مهلة للتروي في طلباتي الى الغد فاذا رفضتم قبولها اضطر ان اسافر الى لندن لكي اؤلف شركة اخرى للتعدين في هذه الارض وان قبلتموها عقدت الاتفاق معكم غدًا ووقعناهُ في مكتب المسجل وإلا فانا كما سبقت فقلت لكم قاصد لندن سريعاً

ثم حيَّاهم وانصرف فوقعوا في حيرة وارتباك ولا سيما المدير فقد اخذ العجب منهُ كل مأخذ لانهُ سمع كاتباً صغيرًا براتب زهيد يخاطب هؤلاء الرجال العظام باللغة الفرنسوية وقد نطق بها احسن منهُ

وفي الصباح جاء ساعٍ الى اورلوف يحمل اليهِ كتاباً لطيفاً من مديري الشركة يدعونهُ فيهِ الى الحضور في منتصف النهار الى مكتب الشركة . فحضر في الميعاد واخذ المسجل معهُ ليكون ناصحاً لهُ ومساعدًا ودخلا غرفة الاجتماع فأُجلسا في صدرها فقال الرئيس انني بالنيابة عن اعضاء الشركة اقول اننا قبلنا الشروط التي اشترطتها يامسيو اورلوف لانهُ لا يوافقنا ان تزاحمنا شركة اجنبية في هذه الجهات . وان راس المال الذي تقرر العمل بهِ هو مليونا ريال تدفع الشركة منهُ لك خمس مئة الف ريال نقدًا وتعطيك اسهماً بخمس مئة الف ريال ايضاً وقد عينتك مديرًا لها

⁂

قال الراوي والمنجم الذي فتح في تلك الارض لاستخراج الحديد هو الآن من اعظم المناجم الروسية وقد صار اورلوف من ذوي اليسار وهو رئيس هذه الشركة ومديرها الاول . وجميع العمال يحبونهُ حبًّا عظيماً ويجلون مقامهُ كثيرًا ومع ذلك لا يزال يعمل بجد واجتهاد النهار بطولهِ ولا حاجة بنا الى القول ان والدتهُ واختهُ عائشتان الآن اسعد عيشة

[المقتطف] يا حبذا لو لم يلجأ اورلوف الى الخداع بتظاهرهِ انهُ لا يعرف اللغة الفرنسوية وفي اطلاعهِ على اعمال رؤسائهِ التي كانوا يودون اخفاءها فان الخداع يفسد اشرف المناقب . ونجاح المخادع لا يفرق عن نجاح السارق

التعليم المفيد

من الخطب النفيسة التي تليت في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني في اجتماعهِ الاخير خطبة رئيس قسم التعليم الدكتور ميل وهي حرية بان يطالعها كل رؤَساء المدارس واساتذتها لما حوت من الفوائد الجلّي المبنيَّة على الاختبار ولذلك رأَينا ان نعرّبها افادة لقراء المقتطف

قال الخطيب بعد الديباجة ان المعرفة الكتابية قد تكون مفيدة جدًّا وقد تكون عقيمة لا نفع منها. مثال المعرفة العقيمة معارف بلينيوس العالم الطبيعي الاكبر الذي قُتل في ثوران بركان يزوف في اوائل التاريخ المسيحي فانهُ ألَّف كتابًا كبيرًا في التاريخ الطبيعي وترك ١٦٠ مجلدًا مملوءة بالاقتباسات التي لم تُستعمل ولم يكن يشبع من مطالعة الكتب فكان يواظب عليها كلما سنحت لهُ الفرصة بل كان يقلل من ساعات النوم لكي يتَّسع لهُ مجال المطالعة . كان مرةً يقرأُ امام صديق لهُ فاعترضهُ صديقهُ لانهُ غلط في لفظة فقال بلينيوس لقد فهمتَ المراد فلماذا قاطعتني فاضعت عشر دقائق من الوقت على غير جدوى . وكتابهُ في التاريخ الطبيعي مشحون باقوال واقتباسات لم يمحّصها ولم ينسّقها ولا اتبع في سردها اسلوبًا واحدًا فلم يفد هذا الكتاب الَّا لتأليف كتب أُخرى على شاكلتهِ

وبلينيوس وما كان بهِ من الرغبة الشديدة في اقتباس المعارف والمقدرة القليلة على الاستفادة منها مثال لجمهور كبير من رجال العلم الذين قرأُوا كل ما وصلت اليهِ يدهم من الكتب وازدخروا من المعارف كل غث وسمين وملأُوا بها مجلدات ضخمة من غير تمحيص ولا تنقيح

وكثيرًا ما يقع معلمو المدارس في هذا الخطاءِ فيحاولون شحن عقول التلامذة بما لا نفع لهم منهُ ولكن الطبيعة تمنع التلامذة من الامتثال لهم ولولا ذلك لصارت عقولهم مثل بيوت البخلاء الذين يحسبون انهم اذا طرحوا شيئًا من امتعتهم احتاجوا اليهِ في اليوم التالي فتمتلئُ بيوتهم من كل عتيق رثيث

لما جاء عصر النهضة في اوربا قام اناس ندّدوا بالعلوم التي لا فائدة منها فقال رابلاس ان اكبر العلماء قد يكون جاهلاً . وقال مونتانيه ان العلم الاكثر قد لا يكون العلمَ الافضل وان الطعام الذي لا يهضم لا يغذي وان ليس كل ما تعيهِ الذاكرة علمًا مفيدًا . وعجب اراسموس من جهل علماء عصرهِ . وانكر لوك اسم العلم على المعرفة الكتابيَّة وقال ان المعرفة

الصحيحة صوَر ذهنيَّة لا كتابيَّة وان العالم من كان فاضلاً حكيماً اديباً عالماً . فوضع الفضيلة والحكمة والادب قبل العلم

ومن حسن البخت ان المعارف التي لا تفيد تزول سريعاً من الذاكرة ولو حاولنا حفظها. ومثَلنا في ذلك مثَل رجل واقف على ضفة نهر والنهر يجري امامهُ مسرعاً وفيهِ مواد مختلفة لا يخلو بعضها من نفع والرجل يمدُّ يدهُ حيناً بعد حين ويلتقط بعض تلك المواد ثم يطرح اكثر ما يلتقطهُ ولا يبقي في يدهِ الاَّ عشرهُ ولا يحتفظ بما يبقيهِ اكثر من شهر

والمعارف التي تحفظها ذاكرتنا هي اكثر كثيرًا مما نحتاج اليهِ ولذلك يجب ان لا نأسف على ما ننساهُ منها . حينما يبيّن لنا البعض مقدار ما يضيع من الطعام لعدم الاعتناء بانتقائهِ وتدبيرهِ يخطر ببالي ان كلاًّ منا يأكل مضاعف ما يحتاج اليهِ فاعزي نفسي عمَّا يضيع بعدم الاعتناء . وسعة المعارف ليست لازمة لاتقانها وانما الذي يلزم هو ان يعرف الانسان كيف يستعمل معارفهُ

ولا شبهة في اننا نحتاج احياناً ان نتذكر اموراً كثيرة لكي نصل منها الى نتيجة ما او الى دليل مقنع ولكن هل من الحكمة ان يذخر الانسان في ذاكرتهِ كل ما يمكنهُ ذخرهُ من المعارف مدة سنين كثيرة عساهُ يحتاج اليهِ يوماً ما . ليس هذا من رأيي فان من يدرس تركيب جسم الحيوان يجد ان الطبيعة لم تضع العصب والعضل اللذين يتعبان سريعاً ويحتاجان الى الدم الغزير لتغذيتهما في مكان العظم والوتر اللذين يحتملان التعب ولا يحتاجان الى الغذاء الكثير . وتشغيل الذاكرة يقتضي اجهاد الاعصاب اجهاداً شديداً ولا سيما بعد سن الصبوة فالاقتصاد يقضي على الانسان ان يستغني بكتب اللغة ونحوها من الوسائل عن اجهاد قوى عقلهِ . وتاريخ العلوم يحذرنا من ذخر المعارف الكثيرة في الذهن على امل استعمالها في المستقبل البعيد

والعلوم اخص من المعارف لانها لا تطلق الاَّ على المعارف المحققة وبها يتصل الانسان من الجزئيات الى الكليات ويجرّد من المعارف المفردة حقائق كلية عمومية وهي التي ندعوها بالقوانين العلمية ونستعملها في تحقيق الحوادث ولذلك فاكثر المعارف العلمية في استعمال دائم وهي تتطرق الى كل شيءٍ فلا يفلت شيءٌ من سلطتها ولذلك تجد العالم الحقيقي معتاداً على البحث عن علل الحوادث وتعليل ما يقع عليهِ نظرهُ او تسمع بهِ اذنهُ على اسلوب علمي . ومزية العلم التدقيق والاعتدال والانصاف . ويراد بالاعتدال العلمي التسليم بما يقرُّ عليهِ جمهور العلماء الموثوق بهم ويراد بالانصاف العلمي استعداد المرء لاصلاح آرائهِ اذا ظهر خطأهُ فيها

سأل هربرت سبنسر قائلاً اي المعارف انفع من غيرها والتفت الى المعارف من حيث علاقتها بالحياة والصحة والمعيشة والوطن واسباب البهجة والسرور وتهذيب الاخلاق واجاب ان النفع قائم بالعلم (اي العلم الطبيعي) . وقولهُ حجة لاسيما وانهُ اوردهُ على اسلوب مقنع ببلاغتهِ وبيانهِ والمشتغلون بالعلم يؤيدونهُ طبعاً واذا سلَّم الجميع بقولهِ انحلت مشاكل كثيرة فنختار الاساتذة الاكفاء لمدارسنا ونعين الدروس اللازمة لاولادنا ونقرر الاعمال التي يتعاطونها بعد المدرسة

ولكن لننظر في قول سبنسر هذا ونبدأ بالبحث عمَّن يجب ان يعلّموا العلوم التي هي انفع من غيرها وكيف يتعلمونها . والظاهر ان سبنسر يذهب الى ان العلوم الطبيعيَّة انفع العلوم كلها وان تعلُّمها واجب على كل احد . وهذا مذهب يصعب علينا التسليم بهِ فان من الناس مَن عقولهم غير صالحة لتعلُّم العلوم او اعمالهم لا تقتضي غير بعض المبادىء العملية البسيطة . هب انك رأيت شابًّا لا يلتذ بالعلم او لا طاقة لهُ على فهم العلوم او هو ميَّال بالفطرة لان يكون شاعرًا لا عالمًا او ورث عملاً منهُ ربح مالي وافر ولا دخل للعلوم فيهِ افيبقى اختيار العلم افضل شيء لهذا الشاب . لا اظن ان سبنسر كان يغفل هذه الاحوال او ينكر ما تدعو اليهِ . فهل كان يفكّر في نوع الانسان كلهِ لما قال هذا القول او بالامة الانكليزيَّة وحدها او بفريق خاص من الناس . وكيفما كانت الحال فهو لا يعذر في عدم استثنائهِ هذه الاحوال التي تمنع ان يكون العلم الطبيعي انفع شيء للانسان . والذين يوجبون المعرفة العمليَّة لا يقولون انها فرض على كل احد . ولا بدَّ لنا من انقسام الاعمال كلها عقلية كانت او يدوية . وكل يوم نرى لزم اعتمادنا على علوم غيرنا

ان التضلُّع من مبادىء العلوم الذي اشار اليهِ سبنسر وكان هو ممثلاً لهُ لم يعد في الامكان ولا بقي نفعهُ الآن كما كان قبلاً . قلت ان التضلع من مبادىء العلوم لم يعد في الامكان لان العلوم زادت كثيرًا واتسع نطاقها جدًّا وما كان تضلعاً حينما كان سبنسر يتعلم او يعلّم نفسهُ صار الآن الماماً قليل النفع لان الاعمال صارت تقتضي علم الخبراء الثقات وقلَّ ان ترى الآن عاملاً يحضر الخطب في علم الكيمياء ثم يشير باصلاحات في الاعمال الصناعية كما كان يحدث منذ مئة سنة . وسيزول ذلك تماماً لان الاعمال كلها ستعتمد على معارف اكبر العلماء واكثرهم بحثاً وقد صار اصحاب الاعمال قادرين ان ينفقوا على استخدامهم . وبديهي ان التفوُّق في العلوم لا يمكن ان يحصل عليهِ الَّا نفر قليل

ومن رأي سبنسر على ما يظهر ان كل والدة يجب ان تعرف الفسيولوجيا (علم وظائف

اعضاء الجسد) فتستطيع ان تربي اولادها . وهذا ايضاً محل للشك فان علم الفسيولوجيا وما يقتضيهِ من العلوم قد اتسعا جدًّا بعد ما كتب سبنسر كتابهُ في التعليم ولم تعد مطالعة كتاب فسيولوجي ولو كان من افضل الكتب مثل كتاب هكسلي كافية للعمل . والمعرفة القليلة قد تضرُّ ضررًا كبيرًا اذا استخدمها الانسان لتشخيص الامراض او للتدابير الصحية . وارجو ان الذين يوافقونني على ان العلم اللازم للصناعة والصحة العموميَّة يزيد نطاقهُ اتساعًا وتحصيلهُ صعوبةً يوماً فيوماً لا يتخذون ذلك حجة على انهُ يجب ان يحصر تدريس العلوم في عدد قليل من الناس فان العلوم الابتدائية التي تعلَّم في المدارس تفيد في تثقيف العقل وتربية الاخلاق وبها يُكتَشف الشبان الذين يحسن تخريجهم في العلوم حتى يصيروا من اربابها والمكتشفين فيها وتُولّد الرغبة في العلم وهي هامة جدًّا لكل بلاد . وان لم يفد علم المدارس غير زيادة فهم حوادث الطبيعة وزيادة الاهتمام بالبحث عنها فكفى بهما فائدة

ويقيني ان سبنسر كان يسلّم بان درس العلم الطبيعي يجب ان لا يشغل اكثر من قسم من دروس المدارس ولو جعلهُ الانسان اهم اشغالهِ في حياتهِ . فالكيماوي والفسيولوجي يضطران ان يعبّرا عن معارفهما بالخطابة او بالكتابة فلا تتم الفائدة ما لم يعبّرا عنها بصراحة وحسن بيان ويجب ان يتقنا لغة اجنبيَّة على الاقل وان يعرفا ما يكفي من الرياضيات والرسم لاجل حساباتهما ورسومهما . ولم يستثنِ سبنسر العلوم الادبيَّة والفنون الجميلة من بيان الدروس الذي ذكرهُ ولكنهُ لم يجعل لها اهمية كبيرة بل قال " انها من الكماليات لا من الحاجيات فيجب ان تعطى فضلة الوقت في التعليم "

ولا اظن ان سبنسر كتب هذه الفقرة للحط من قيمة فنون الادب . نعم ان عبارتهِ تصدق على تآليف الروايات التي تقرأُ اليوم وتطرح غدًا في الموقد ولكنها تدلُّ على انهُ لم يكن يشعر بقيمة ما يفوق ذلك من كتب الادب . ولهذهِ الاسباب لا اسلم بحكمهِ . وليس للنفع مقياس يقاس بهِ وقبل ان نختار العلوم التي نعلّمها للولد يجب ان نبحث عن اميالهِ ووسائطهِ . ونعلم فائدة العلوم الطبيعيَّة التي لم يغالِ سبنسر مهما قال في مدحها حينما تصير الشعوب والمدن وارباب الاعمال والصنائع تتدرَّب بعلوم الثقات واحكامهم لا بعلومها هي واحكامها

لا يخفى ان احراز المعارف العلميَّة امر طفيف في جنب الاسلوب العلمي والروح العلميَّة . وهذا امر نسلم بهِ عمومًا ولكننا لا نجري عليهِ فلا يزال معلمو العلوم يوفرون ذاكرة التلاميذ بالمعارف العلميَّة ولا يزال الممتحنون يحكمون بفوز التلميذ او بسقوطهِ بانين حكمهم على مقدار

ما يجدونهُ في ذاكرتهِ من المحفوظات العلميَّة . الاَّ ان الذين يريدون اصلاح اساليب التعليم يهتمون الآن بجعل العلوم التي يتعلمها التلميذ من هذا الاستاذ او ذاك مطابقة ومكملة لما يتعلمهُ من استاذ آخر ويودون ان يروا التلامذة يزيدون بحثاً واستقصاء وتحقيقاً للمبادىء العلميَّة الاساسية ومن ثم يصير عالم المستقبل حائزًا على معارف مفيدة يستطيع ان يضم اليها ما يعلمهُ بالاختبار مدى عمرهِ

ثم استطرد الخطيب الى تعليم التلامذة الذين يستعدون لتعلم الطب والذين يستعدون لتعلم الصنائع والى كثرة فروع العلم التي تعلَّم الآن في المدارس وكونها فوق طاقة التلامذة فلا يستطيعون ان يتعلموا ربعها ويخرجون من المدرسة قبلما يجنون شيئاً من فوائدها ويزيد الطين بلَّة بطول الدروس حتى يملها التلامذة ويتعذر عليهم الاستعداد لها كلها . وحثَّ على اتباع الطريقة العملية في التعليم اي تشغيل التلامذة في موضوع العلم الذي يتعلمونهُ فاذا كان استاذهم يعلمهم تاريخ بلدهم اوجب عليهم ان يساعدوهُ في البحث عن مقومات ذلك التاريخ اي ان يقرنوا العلم بالعمل او يبنوا العلم على العمل حتى تتولَّد فيهم الرغبة في تحصيل العلم واستعمالهِ . وعندنا ان هذا هو الفارق الاكبر بين متعلم ومتعلم . زرنا مرةً مدرسة الصنائع المصرية مع ناظر المعارف حينئذٍ المرحوم علي باشا مبارك ورأينا فرقة تمتحن في العلوم الرياضية فسأَلنا احد الطلبة عن جرم عصا كانت في يدنا من السنتمترات المكعبة فوقف مدهوشاً لا يحير جواباً كاننا سأَلناهُ عن سكان القمر واخذ استاذهُ يقرب اليهِ المراد حتى انتبه الى ان العصا مخروط ناقص فسرد عبارة المخروط الناقص صحيحة ولكنهُ لم يستطع تطبيقها على السؤال . ولو نمت في ذلك التلميذ الرغبة الحقيقية في احراز العلم واستعمالهِ لوجد حلَّ سؤالنا من اسهل الامور عليهِ

ومن رأي الخطيب ان الرغبة وحدها لا تكفي ولا بد من ان يقوم معها شعور داخلي بان الامر واجب . واذا اجتمعت الرغبة والشعور بالواجب استطاع التلميذ ان يواظب على العلم ويتضلَّع منهُ ويتقنهُ الاَّ ان هذا الانقان قلما يحصل في المدرسة لان المدرسة دار الاستعداد لهُ وهي تقضي ما يطلب منها اذا بثت في عقول التلامذة اسلوباً علميًّا عمليًّا ينمو ويرتقي مع الزمن

اذا تدبَّر اساتذة مدارسنا الامور المتقدمة رأَوا في احوال تلامذتهم ما يؤيدها كلها فان التلميذ الذي يقرن العلم بالعمل عن رغبة شديدة يفلح فيهِ وينال منهُ الحظ الاكبر والاَّ فلا

الانشاء

لكاتب فرنساوي طائر الصيت

صاحب البحث الحاضر هو الكونت دي بوفون واسمهُ جورج لويس لكلير من اكبر ائمة الانشاء وقادة الافكار في القرن الثامن عشر · ولد في مدينة مونتبار من اعمال فرنسا سنة ١٧٠٧ ودخل سنة ١٧٥٣ عضواً في ندوة البيان واللغة بباريس وهي المعروفة باسم الاكاديمية الفرنساوية وتوفي سنة ١٧٨٨ · ولما دخل الندوة القى هذا الخطبة النفيسة في موضوع الانشاء وقد وجدتها متضمنة من الملاحظات الدقيقة وقوانين حسن الانشاء العامة ما يصدق على كل لغة لا اللغة الفرنساوية وحدها فاحببت نقلها الى قراء اللغة العربية بشيء من التصرف والاختصار يوافق قارئ الفرع ولا يجني على اغراض منشئ الاصل

قال الخطيب بعد مقدمة وجيزة اثنى فيها على زملائهِ اعضاء الندوة مجاملةً وتأدباً

لم يخلُ عصر من اناس تمكنوا بقوة الكلام ان يقودوا اناساً آخرين · على ان صناعة الكلام كتابةً وخطابةً لم تتقن وتستوفِ حقها الاَّ في اعصر التنور والرقي · فان البلاغة الحقيقية تقتضي ترويض القريحة (génie) وتثقيف العقل · فهي تختلف عن ذرابة اللسان التي يحوزها كل من كان شديد الاحساس سريع التصور تسعفهُ اعضاء النطق على حسن الالقاء فمن كان هذا شأنهُ كان انفعالهُ سريعاً حسب سرعة تصورهِ وكان من ثم ابرازهُ صورة هذا الانفعال الى الخارج سريعاً ايضاً فاذا اثَّر في سامعيهِ لم يكن تأثيرهُ الاَّ من قبيل تأثير الاعضاء على الاعضاء اي تأثير المادة على المادة · واما التأثير على من خرجوا عن سواد العامة واريد بهم الفئة الصغيرة من المستنيرين المتعلمين نظيركم يا سادتي فلا يتأتى من وراء ذرابة اللسان ورشاقة الحركات والاشارات وطنطنة الالفاظ ورخامة الصوت او جهرهِ بل يقتضي من طالبهِ ان يتسرب كلامهُ الى مكامن العقل الخفية فيكون ملء القلب والنفس قبل ان يكون ملء العين والاذن

ليس انشاء المرء سوى كيفية تنسيقهِ لافكارهِ وتحريكهِ اياها فاذا احسن وصلها وجمعها جاء انشاؤُهُ متيناً واضحاً خلاَّباً · واذا اغفل ذلك لكي يوسع مجالاً لتنميق اللفظ جاء انشاؤُهُ مضطرباً ركيكاً يبعث على السآمة ولو كان اللفظ غايةً في الرواء والفصاحة

ويجب على الكاتب قبل كل شيء ان ينتبه الى الافكار الاصلية الاساسية التي

تجول في خاطرهِ بشأن الموضوع المتصدي لهُ وان يطيل فيها نظرهُ لكي يتمكن من جعل فاصل بين كل فكرين منها فيكون بأمن من خلط بعضها ببعض . وان يلتفت بعد ذلك الى الافكار الفرعية التي لا بدَّ من نشوئها عن تلك الافكار الاصلية فيميز بين غثها وسمينها فيثبت هذا وينبذ ذاك . فاذا اوفى حق ذلك كلهُ انفتح امامهُ كل مغلق وسهل عليهِ كل وعر والقى اليهِ حسن التعبير ازمتهُ . وليعلم ان العقل قلما يستطيع تناول الموضوع من اقصاهُ الى اقصاهُ دفعة واحدة فلا يقسرهُ على ذلك لئلاَّ يرهق فيكل لا سيما اذا كان الموضوع واسعًا متشعبًا بل عليهِ ان يسير بعقلهِ متئدًا مترفقًا . وليعلم ايضًا ان من القليل النادر امكان استيعاب علاقات الموضوع وملابساتهِ باسرها فلا يبالغ في استقصائها حين يرى هذا الاستقصاء شديد التعسر او قليل الجدوى بل يكتفي بالاهم الافضل

على ان كل ما ذكرتهُ ليس هو الانشاء بذاتهِ بل محورهُ واساسهُ . فهو يقيم عمودهُ ويمهد سبيلهُ ويسدد سيرهُ ويضبطهُ في نظام امين . فاذا لم يراعهِ الكاتب تاهَ في مهامه مترامية الاطراف مهما بلغ من اقتدارهِ وكان بقلمهِ كحاطب الليل بمنجلهِ وتنافرت اجزاء كلامهِ ولو جاء بالف حسنة من زخرف الظاهر وروائع الامثال والشواهد والمقارنات . حتى اذا قرأ قارئٌ خبير ما كتب علم من زخارفهِ ومحسناتهِ ان قريحتهُ لا تخلو من قوة وفيض . وادرك من اغفالهِ شروط الاساس انهُ ليس بالمنشيء الفحل

وبناء على ما ذكر كانت كتابة الذين يكتبون حسبما يتكلمون كتابةً رديئة ولو عُرفوا بحسن التكلم وكان الذين يغترون بالشرارة الاولى من نار تصورهم فيسيرون على ضوئها في انشائهم غير متمهلين يصابون بالعجز سريعًا عن تتبع الطريق الى آخرهِ . لان تسرُّع هؤلاء واولئك لم يمكنهم من تنسيق ما ينوون فكانوا كالجندي بغير سلاح او المسافر بغير زاد

ثم ان العقل لا يستطيع ابتداع شيء ابتداعًا محضًا . واما ما يبدر منهُ من المعجبات المطربات ونسميهِ على سبيل التسامح ابتداعًا وابتكارًا فما هو الاَّ مكتسب في اجزائهِ من اختبارات صاحبهِ وتأملاتهِ . فاذا حذا العقل حذو الطبيعة بان يرتقي في التأمل الى اسمى الحقائق فيجمعها ويضبطها ثم يبني عليها ما يريد ابرازهُ بلسان القلم جاء اساسهُ مكينًا وبناؤُهُ خالدًا

ومما يقع كثيرًا ان ينبري المرءُ وهو ذو علم وذكاء لبحث ما فلا يكاد يلمُّ بهِ حتى تتزاحم عليهِ الافكار المختلفة والآراء المتباينة فيقف بينها احير من ضب لا يدري من اين يأخذ ولا الى اين ينتهي . وربما مرَّت بهِ الساعة اثر الساعة وهو على هذه الحال حتى تزهق روحهُ

ويهم بهِ اليأس . ذلك لانهُ لم يجمع تلك الافكار في ذهنهِ ويوازن بينها ويرتبها ترتيباً بيناً بل اقتصر على الالتفات اليها لفتة معجب بكثرتها مرتاع لاشتباكها . فلم يتيسر لهُ التمييز بين الفاضل والمفضول منها والراجح والمرجوح بحيث ينفتح لهُ باب يدخل منهُ وطريق يسير فيهِ . واما اذا جمع في ذهنهِ الافكار الرئيسية المطلوبة لبحثهِ واحسن تنسيقها لم يلبث ان يراها اصبحت طوع يديهِ بعد ما كان اسيرها فيقبض على القلم في اوانهِ ويشعر انهُ ساعٍ لاجتناء ثمرٍ ناضج . ومن ثم تظهر لهُ الكتابة وسيلة لذة وارتياح وتنثال عليهِ الافكار سراعاً تباعاً على غير اختلاط ولا اضطراب وتكسبهُ اللذة التي يجدها في سهولة العمل حماسة ونشاطاً فتأتي معانيهِ بفضل هذين كالجمر اضطراماً . وتأتي الفاظهُ بفضل تلك كالماء انسجاماً

ولكن الحذر الحذر من تجميل الكلام ما لا يطيقهُ من ضروب التحذلق كأَن يعمد الكاتب الى تزيين كل جملة من جملهِ بحلية بارزة فان ذلك غير متيسر الاَّ عن طريق التكلف الفاضح واقل ما ينشأُ عنهُ عيب المعاظلة اي تراكب المعاني وتداخلها في اليسير من الالفاظ فيتعب ذهن السامع والقارىء تعباً يشهد على ان الكلام خرج عن حدود البلاغة الى نقيضها . والحذر كل الحذر من شدة التعويل على المحسنات اللفظية وشدة الثقة بنفعها فان جمالها مستعار ليس لهُ قوام بذاتهِ لانهُ حاصل من تجانس تلك الكلمات او تضادها او ما اشبه ذلك فهو الى الوهم اقرب منهُ الى الحقيقة وما مثلهُ في الدهشة القصيرة التي يثيرها عند ظهورهِ الاَّ كمثل الشرر لا يكاد يسطع حتى يتبدد وتخيم مكانهُ وحشة الظلام

ومما ينافي البلاغة الحقيقية ايضاً الالتجاء الى المعاني التافهة التي لا طائل تحتها وقد يغتر البعض بها فيحسبون ضعفها رشاقة وسخفها دقة . وانما هي في خفتها التي يستعذبها هذا البعض مثل رقائق المعدن لم يكسبها الطرق ذلك البريق اليسير الاَّ بعد ما انتزع منها المتانة والشدة . وعلى مقدار ما يدس الكاتب من هذه المعاني تفقد كتابتهُ نصيباً من الفخامة والاشراق والاحتدام . وانما يجوز استخدامها اذا كانت هي موضوع ما يكتب او اذا كان المقام مقام هزل ومداعبة فان التطرف بها حينئذٍ قد يكون ادل على الاقتدار من الالتجاء الى سواها

ومما يجني على الانشاء جنايةً لا تغتفر التعبير عن الاشياء المعتادة والاشياء العامة باساليب وعرة او فخمة . فالكاتب الذي هذا شأْنهُ لا يعجب بهِ الناس كما يتوقع بل يرثون لهُ لانهُ اضاع وقتاً طويلاً وكابد عناء جزيلاً في رص الكلام ولم يأْتِ بشيءٍ جديد بل قال ما يقولهُ كل واحد سواهُ . وهذا العيب فاشٍ في اصحاب العقول العقيمة النائلين حظًّا من

الدرس والمطالعة . فهم اغنياء الفاظ فقراء معانٍ يدورون حول الكلام ويزوقون جملهُ حاسبين انهم جاؤُا بالافكار وانهم طهروا اللغة وشرفوها والصحيح انهم افسدوها وانشاؤُهم لا يعد انشاء لان الانشاء ينقش على الذهن فكرًا وهم يرسمون على الورق لفظًا

واذا اضاف الكاتب الى مراعاة ما تقدَّم ذكرهُ من القوانين والملاحظات مراعاة حسن الاختيار في المفردات واستعمال المألوف المشهور من التراكيب على شرط ان يكون فصيحًا واجتناب مواضع الالتباس وبوادر المجون حاز في صناعتهِ مقامًا رفيعًا

وجل ما يقال في حسن الانشاء انهُ يدل على سعة الفكر ودقة الشعور وسلامة الذوق معًا وانهُ يثير جميع القوى العقلية ويروضها . والانتصار للحق في الانشاء هو اسُّ جمالهِ فليس سوى الحق يثبت على محك النقد وليس سوى الحق يخلد ذكرهُ . وكلما اتسع حظ الكتابة من ذكر حقائق الاشياء اتسع حظها من الجمال واما التلفيق والتزويق المحضان اللذان لا يقصد منهما خدمة حقيقة تستشعر من خلالها فرتبتهما في الاقوال ساقطة مثل رتبتهما في الاعمال

ولا يحصل سمو الانشاء الا في المواضيع السامية واكبر ميادينهِ الشعر والفلسفة والتاريخ فالشعر يصف الطبيعة ويزينها ويصف البشر ويجسمهم وينتزع منهما ابطالاً واشباه آلهة . والفلسفة تتناول الطبيعة فترسمها وتستطلع نواميسها وغوامضها . والتاريخ يصف البشر وحدهم وهو لا يحتمل تجسيماً ولا مبالغة بل يذكر كل شيء كما هو ولذلك لا ينتظر من المؤرخ ان يبدع في انشائهِ ويوصلهُ الى مرتبة السمو الا عند ذكر افراد العظماء من الناس وحوادث الكون النادرة فاذا خرج عن هذا الشرط كان متكلفًا غير محمود . فشأنهُ في ذلك غير شأن الشاعر والخطيب اللذين يطالبان بافراغ كل ما ينشئان في قالب الرونق والفخامة وتزيينهِ باحسن طرق الترغيب والترهيب او الاستعطاف او التحريض لان مواضيع صناعتهما لا تكاد تخرج عمَّا ذكر فيجب فيها ايجاد نسبة بين المطلوب وصيغة الطلب

ادوار مرقص

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

السباع

الزَّبَاح . الزَّبَاد (حبشيَّة معرَّبة (١)) . قطُّ الزباد . سنَّور الزباد

Civetta. E. Civet cat. F. Civette

جنسٌ من السباع اكبر من السنَّور قليلاً وشبيهٌ بهِ وهو قصير القوائم اغبر اللون جلدهُ منقَّط ومخطَّط بلون اسود . وهو الحيوان الذي يستخرج منهُ الطيب المسمَّى بالزباد . منهُ انواعٌ كثيرة في افريقية وجزائر المحيط الهندي . وتطلق لفظة الزباد على الحيوان وعلى الطيب الذي يجلب منهُ . قال صاحب القاموس "وغلط الفقهاء واللغويُّون في قولهم الزباد دابة يجلب منها الطيب وانما الدابة السنَّور والزباد الطيب" وقد اخطأَ في قولهِ فلفظة الزباد هذه حبشيَّة الاصل وهي تطلق على الحيوان بعينهِ في الحبشة والسودان وقد وردت كثيرًا بهذا المعنى في كتب اللغة والمؤلفات العربيَّة

الزُّرَيقاء . الجرْنَيط (مغربيَّة) Genetta. E. Genet. F. Genette

جنسٌ من السباع شبيهٌ بالزَّبَاح الَّا ان قوائمهُ اقصر وجسمهُ اطول وهو اغبر اللون منقَّط بنقط سودٍ ويوجد في اواسط افريقية وشمالها وفي بلاد العرب والشام وجنوب اوربا . ولم اقف على اسم لهُ سوى الجرنيط وهي لفظة مغربية زعم دوزي ان اللفظة الافرنجية مشتقة منها . ولفظة الزريقاء وضعتها من باب التخمين فقد قال صاحب محيط المحيط ان الزريقاء دابَّة كالسنَّور . وليس في بلاد العرب وما يجاورها دابة تشبه السنور اكثر من هذه ومن المحتمل ان هذا الحيوان هو الزبزب الذي ذكرهُ الدميري وقد وصفهُ وصفًا يشابه وصف الجرنيط وقال عنهُ انهُ قصير اليدين والرجلين ومبقَّع بسواد الَّا انهُ نقل عن ابن الاثير ان الزبزب كان يأْكل الاطفال في بغداد والجرنيط لا يقوى على ذلك . وقال الشيخ داود

---

(١) Voyage en Abyssinie, par Lefebvre, Petit, et Quartin-Dillon (1839-1845), tome VI p. 19. Voyage to Æthiopia, by Poncet, English translation (London 1709), p. 82

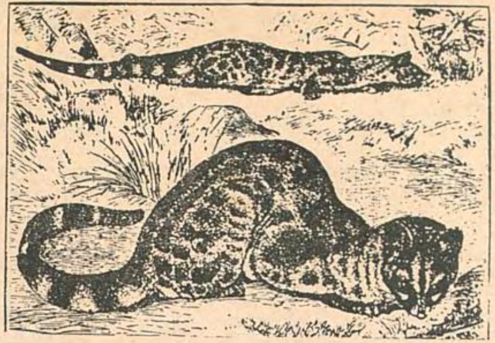

الجرنيط

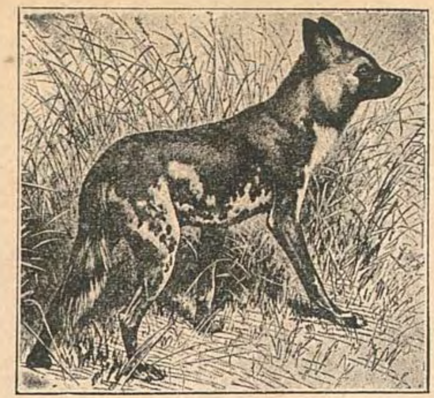

السمع

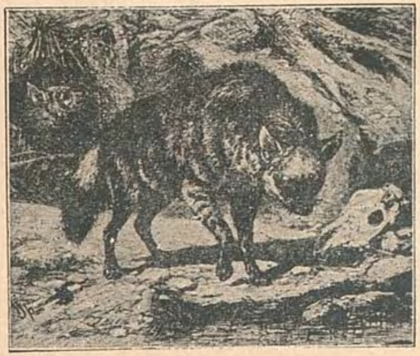

العسبار

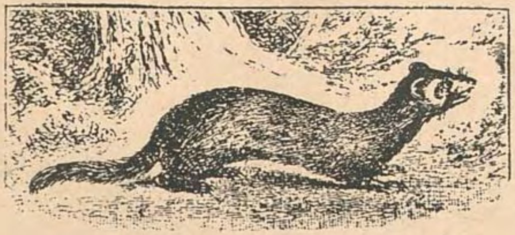

الظربان

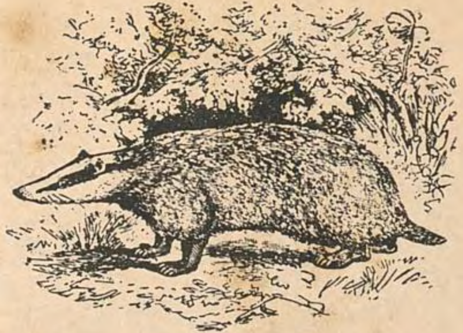

اليغر

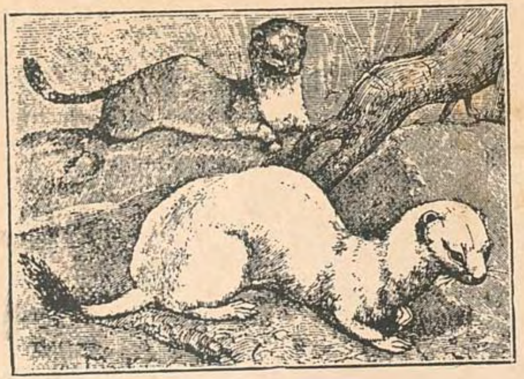

القاقوم

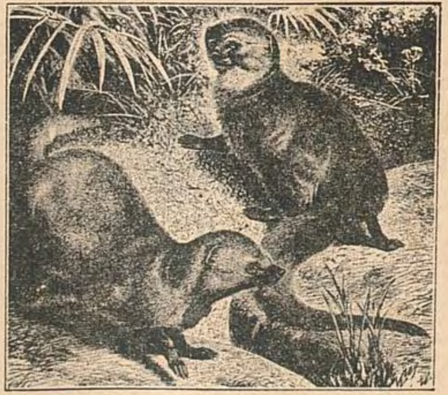

النمس

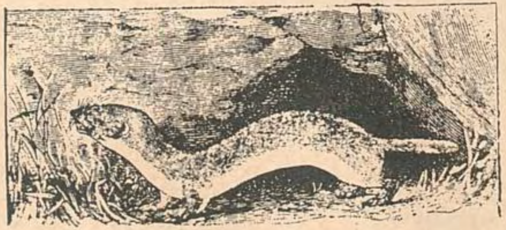

ابن عرس

في تذكرتهِ (١) ان الزبزب هو التفا ولكن وصف الزبزب في الدميري لا يوافق وصف التفا مطلقاً . واهل السودان يسمون هذا الحيوان كديساً فاعتمد الكابتن فلوَر على هذه التسمية في حديقة الجيزة . وقد مرَّ بنا ان اهل السودان يطلقون هذه اللفظة على القط ايضاً . اما القانون ترسترام فسماهُ النسناس . والنسناس غير ذلك وسماهُ استاذنا الدكتور بوست (٢) السمُّور ولا خلاف في ان السمُّور حيوانٌ آخر سيأتي ذكرهُ . ومن المحتمل ان يكون هذا الحيوان هو التميلة وقد قالوا عنها انها دابة في الحجاز على قدر الهرَّة

النمس (لعلهُ سمّي بذلك لانهُ انمس اي اكدر)

Herpestes. E. & F. Ichneumon, Mungoose, Mangouste.

جنسٌ من السباع يوجد منهُ انواع كثيرة اشهرها الموجود في مصر والشام وهو في حجم القط الاهلي اكدر اللون احمر العينين قصير القوائم طويل الذنب . يأكل الحيات وبيض التمساح واهل الشام يطلقون هذه اللفظة على الدلق خطأً فوصفهُ في الكتب العربية واضح لا يقبل التأويل وهو يعرف في مصر بهذا الاسم ايضاً وقد ذكرهُ ارسطوطاليس (٣) وقال عنهُ كما قالت العرب اي انهُ يتمرَّغ في الطين ويأكل الحيات وذكرهُ بلينيوس (٤) وقال عنهُ انهُ يقتل الحيات ويدخل جوف التمساح اي كما قالت العرب وسماهُ كلاهما Ichneumon وقد سماهُ الادريسي كلب الماء واللَّشَك وفي نسخة اخرى اللَّشَط (٥) ولم اقف على حقيقة هذين الاسمين

الضبُع (٦) (مؤنثة وتطلق على الذكر والانثى والذكر ضِبْعَان والانثى ضِبْعَانَة)

Hyæna. E. Hyæna. F. Hyène.

جنسٌ من السباع اكبر من الكلب واقوى منهُ وهي قوية الفكين جدًّا ولها اربعة مخالب في كلٍّ من قوائمها . والمشهور منها نوعان . الضبع المخطَّطة وهي المعروفة عند العرب وتوجد في آسيا وافريقية . والضبع الرقطاء وتوجد في افريقية فقط وهي اكبر من المخطَّطة واقوى منها وليس لها عرفٌ مثلها . وتعرف الضبع الرقطاء في السودان بالمرفعيب والمرفعين وهي التي سماها بلينيوس Crocuta (٨ : ٤٥) وزعم انها متولدة بين الضبع والاسد

وقد ذكر صديقي نعوم بك شقير في كتابهِ تاريخ سينا (والكتاب تحت الطبع) ان

---

(١) تذكرة داود الانطاكي الجزء الاول فصل الزبزب (٢) كتاب نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات الجزء الاول صفحة ٥٢ (٣) كتاب النعوت لارسطو (٩ : ٧ : ٣) (٤) كتاب التاريخ الطبيعي لبلينيوس الروماني (٨ : ٣٥ و٣٧) (٥) نزهة المشتاق للادريسي طبع ليدن صفحة ١٨

(٦) للضبع اسماء كثيرة تجدها في الجزء الثامن من المخصص لابن سيده وكذلك الذئب والكلب وابن اوى والثعلب وغيرها فاكتفيت بالاشارة الى ذلك

الضبع الرقطاء موجودة في سينا وهذا الامر ليس بعيدًا ولو لم يذكر علماء الحيوان وجودها خارج افريقية لان حيوانات سينا ونباتاتها تشبه حيوانات افريقية ونباتاتها. وقد بحثت كثيرًا في اسماء الضبع باللغة العربية ووصف الضبع في كتبهم فلم اقف على شيءٍ يفهم منهُ ان عندهم نوعين من الضباع فلو كان عندهم نوعان منها لما فاتهم ذلك ولا ريب في ان المقصود بلفظة الضبع عند العرب الضبع المخطَّطة لانهم وصفوها بالعرفاء اي الطويلة شعر العنق وهذه الصفة لا تنطبق على الرقطاء لانها لا عرف لها

السِمْع (سِمِيْر بالحبشية) Lycaon pictus. E. Cynhyæna or Cape hunting dog. F. Cynhyène ou Loup peint

نوعٌ من السباع بين الذئب والضبعِ. عدد اسنانهِ كعدد اسنان الذئب واما مخالبهُ فاربعة في كلٍ من قوائمهِ كالضبع وهو مبقّع ببقع سود وبيض وصفر ويوجد في اعالي النوبة الى الكاب جنوبًا

العِسبَار Proteles cristatus. Dutch, Aard-wolf. F. Protèle

نوعٌ من السباع الافريقية شبيهٌ بالضبع والذئب وهو قريبٌ من الضبع المخطَّطة في شكلهِ ولونهِ الاَّ انهُ اصغر منها وليس لهُ قوَّة فكيها والبوير يسمونهُ بما تعريبهُ ذئب الارض ويوجد في شرق افريقية وجنوبها

وقد يتوهم القارئ من وصف العرب لهذين الحيوانين انهما من الحيوانات الخرافية والحقيقة ان كل واحدٍ منهما حيوانٌ قائم بنفسهِ فقد كان القدماء يزعمون ان بعض الحيوانات مركب من حيوان واخر ولذلك زعموا ان الزرافة مركبة من الجمل والنمر وسموها Camelopardalis وزاد الفرس عليهما البقرة وسموها اشتركاو پلنك وزعم العرب ان السمع مركب من الذئب والضبع وكذلك العسبار (١) وقد بين الجاحظ فساد هذا الزعم لان الحيوانات المذكورة تلد من جنسها (٢). فالسمع سماهُ بلينيوس Lycaon وهي مشتقة من لفظة يونانية معناها الذئب. ومن اسمائهِ عند الافرنج Cynhyæna ومعناها كلب ضبع. وقد ذكر مؤلفو العرب وجود السمع والعسبار في اواسط افريقية فقد جاء في عجائب المخلوقات للقزويني ما نصهُ "وحكى طهمان الحكيم (٣) ان بجانب الجنوب بقرب خط الاستواء يجتمع

---

(١) انظر فصل الحيوانات المركبة في عجائب المخلوقات للقزويني (٢) لا اظن ان احدًا سبق الجاحظ الى قولهِ هذا وهو الصحيح ويظهر ان ارسطو وبلينيوس كانا يعتقدان بتولد الحيوان من جنسين

(٣) لا اعلم من هو طهمان الحكيم هذا وانما الكلام الذي نسبهُ اليهِ القزويني منقولٌ بالحرف الواحد تقريبًا عن ارسطو وبلينيوس (٨ : ٢٧ : ٧) من الاول و (٨ : ١٧) من الثاني

بالصيف حيوانات مختلفة الانواع على مصانع الماء من شدة العطش٠٠٠٠٠ فيتولد منها مثل الزرافة والسمع والعسبار ". ولا يوجد في افريقية حيوانات تشبه الذئب والضبع سوي نوعين فقط وهما عند علماء الحيوان Lycaon و Proteles وقد زعمت العرب انهُ اذا كان الذكر ذئبًا كان المولود عسبارًا واذا كان ضبعانًا كان المولود سمعًا (١) ولا يخفى انهُ في الحيوانات المركبة يكون النتاج اقرب الى الام مما هو الى الاب فالحيوان المسمى Lycaon اقرب الى الذئب او الكلب مما هو الى الضبع وعكسهُ المسمى Proteles فبحسب زعمهم يكون الحيوان المسمى Lycaon ابن الذئبة من الضبعان اي السمع والحيوان المسمى Proteles ابن الضبعانة من الذئب اي العسبار. ثم ان وصفهم للسمع يصدق على الاوّل اكثر مما يصدق على الثاني فقد بالغوا في طول وثبتهِ وشدة سمعهِ وتيقظهِ فان هذا الحيوان مشهور بسرعتهِ ومقدرتهِ على صيد الظباء . وقد كان داجنًا عند قدماء المصريين وسماهُ احمد بك كمال كلب السميخ وقال لعلهُ السمع (٢) وسماهُ اهرنبرغ وهمبرخ Simoue ولا اعلم هل سمعا هذه اللفظة في السودان

❖ الكلب ❖ Canis. E. Dog. F. Chien الكلب في التعميم جنسٌ من السباع منها الكلب الاهلي والذئب وابن اوى والثعلب الخ . وفي التخصيص هو هذا الحيوان الاهلي المعروف وهو اصنافٌ كثيرة فالذي وقفت عليهِ من الاصناف المعروفة عند العرب ما يأتي

(الدِرْواس والدِرباس) وقالوا انهُ الكبير الرأس ويشبه ما يسميهِ الانكليز بُلدوغ E. Bull-dog F. Bouledogue.

(الزَغاريّ) E. Mastiff F. Mâtin وهو كبير الجثة وشديد البأس

(القَلطي (٣) والزِئنيّ (٤)) E. Turnspit. F. Basset هو كلب صغير الجرم قصير القوائم وطويل الجسم وهذا الصنف من الكلاب نادر الوجود الآن

(الضاري والضرِو والعُرْبُج والتَمَثّم) E. Hound. F. Chien courant اي كلب الصيد واللفظة الاولى مستعملة في بلاد العرب في وقتنا هذا وهم يصيدون بهِ البدن في سينا (٥)

(القُطْرُب (٦)) E. Pug. F. Carlin وهو الصغير المجتمع من الكلاب

---

(١) عجائب المخلوقات للقزويني (٢) بغية الطالبين لاحمد بك كمال وقد سألت المؤلف عن لفظة السميخ فقال لي انهُ اخذها عن القصيدة التي ذكرها على هامش الكتاب وهذه القصيدة نقلها عن نسخة خطية في الكتبخانة الخديوية (٣) معرب كلمه بالفارسية اي القصير (الالفاظ الفارسية المعربة) (٤) وفي بعض الكتب يسمي الصيني وابن سيده ينكر ذلك (٥) من كتاب في تاريخ سينا تحت الطبع لنعوم بك شقير (٦) ترد بغير هذا المعنى ايضًا وهي يونانية الاصل (انظر فرائد اللغة للاب لامنس اليسوعي ٢٨٥)

(الهِبْلَع والهِجْرَع والسَلُوقي(١)) E. Greyhound. F. Levrier وهو طويل القوائم ويوصف بسرعتهِ

(كلب الرُعاء) E. Sheep-dog, Collie

(والعَكَل(٢)) E. Pariah dog. الكلب الذي لا يتعلم وهو ادنى اصناف الكلاب ويسمى الجعاري في الشام والبلدي في مصر . وهو العكلي في النسخة التي عندي من تذكرة داود الانطاكي . والعُكْل في اللغة اللئيم

◆ الذئب ◆ Canis lupus. E. Wolf. F. Loup نوعٌ من الكلاب البرّية وهو في حجم الكلب الاهلي المعتاد . لونهُ الغالب الغبشة وهو جريءٌ جدًّا عند الجوع . والذئاب اصنافٌ كثيرة

◆ الذئب المصري ◆ Canis lupaster نوعٌ من الكلاب البرية وهو اصغر من الذئب واكبر من ابن آوى فبعضهم سماهُ ذئباً والبعض ابن آوى

◆ الشِيب ◆ ويسمي السِيب في العراق يزعمون انهُ متولدٌ بين الضبع والذئب(٣) او بين النمر والذئب(٤) وهو معروفٌ في الشام ويحسبونهُ من الحيوانات المفترسة ولهم فيهِ حكايات كثيرة ولم اقف على حقيقة امر هذا الحيوان وقد بحث عن ذلك الدكتور رسل في اواخر القرن الثامن عشر عندما كان مقيماً في حلب ومن رأيهِ ان اهل الشام يطلقون هذه اللفظة على الذئب الكَلِب وقد رأى صديقهُ الدكتور فرير قطعة من جثة هذا الحيوان وارسل اليهِ وصفها ويظهر من هذا الوصف انهُ نوعٌ من الذئاب . وقد رأيت في صغري ذئباً كلِباً دخل مدينة زحلة في لبنان فقتلهُ اهاليها ولم يقولوا انهُ الشيب بل سموهُ ذئباً . وحبذا لو ارسل اليَّ احد قراء المقتطف في العراق او الشام وصفاً مدققاً لهذا الحيوان ان كان موجوداً هناك

◆ ابن آوَى ◆ C. aureus. E. Jackal. F. Chacal (والجمع بنات آوى) نوعٌ من الكلاب البرية وهو اصغر من الذئب المصري وشبيه بهِ ويسمى في بعض انحاء الشام بالواوي والجقل واللفظة الاخيرة فارسية . اما في مصر فلا يفرقون بينهُ وبين الذئب المعروف عندهم

◆ الثعلب ◆ C. Vulpes. E. Fox. F. Renard نوعٌ من الكلاب البرية اصغر من ابن اوى وهو دقيق الخطم وكثيث شعر الذنب

---

(١) نسبة الى سلوق باليمن او سلوقية بالروم او العراق (٢) من كتاب تاريخ سينا المذكور آنفاً

(٣) محيط المحيط (٤) رحلة بركهارت في الشام ٥٣٤

البَعْشُوم Canis mesomelas نوعٌ من بنات اوى وهو اصغر من الذئب المصري وشبيه بهِ الاَّ ان ظهرهُ اسود وهو كثير في السودان وقد حسبهُ بعضهم نوعاً من بنات اوى والبعض الآخر نوعاً من الثعالب وقد كتبت هذه اللفظة كما سمعتها من اهل السودان وتجدها مكتوبة باشون في حديقة الجيزة وبشوم وبعشوم في "دليل الحيوان" (١) ويصعب كثيرًا معرفة الفرق بين الهمزة والالف والعين من نطق اهل السودان وقد سألت واحدًا منهم ان يكتب لي هذه اللفظة فكتبها "بعشوم" بالعين

الفَنَك . الفنَج (فارسية معربة(٢)) C. Zerda. C. Corsac &c.
E. & F. Fennec & Corsac.

جنسٌ من الثعالب وهو اصغر من الثعلب الاعتيادي المعروف كبير الاذنين جدًّا وفروتهُ من احسن الفراء . وقد اطلق العرب هذه اللفظة على عدة انواع منهُ . احدها يوجد في اواسط آسيا و يعرف بلفظة قورساق بالتركية و يسميهِ علماء الحيوان Canis corsac وهو الذي ذكرهُ ابن البيطار وقال انهُ يوجد في بلاد الصقالبة . والانواع الاخرى توجد في افريقية وتعرف عند الافرنج وعرب افريقية بالفنك . اشهرها نوعٌ يسمى Canis zerda وهو ابيض اللون مصفرهُ لطيف المنظر جدًّا

ولا سبيل الى معرفة هذا الحيوان من وصفهِ في الكتب العربية فقد ذكرهُ ابن البيطار ولم يصفهُ والدميري نقل عن ابن البيطار . واقرب وصفٍ لهُ وجدتهُ في محيط المحيط حيث قال "الفنك حيوان فروتهُ احسن الفراء واعدلها . قيل هو نوعٌ من جراء الثعلب التركي . وقيل يطلق على جرو ابن اوى في بلاد الترك" . واول من استعمل هذه اللفظة من الافرنج الكابتن بروس في رحلتهِ لاكتشاف منابع النيل فذكر هذا الحيوان بلفظهِ العربي كما سمعهُ في افريقية ثم جيءَ بحيوانين منهُ الى باريس سنة ١٨٥٦ فلم يبقَ ريب حينئذٍ في صحة تسمية هذا الحيوان

وللمستشرق الفرنسوي كليمان موله(٣) مقالة وافية عن الفنك في مجلة المشرق الفرنسوية اخذت عنها ما ذكرتهُ آنفًا لكنهُ التبس عليهِ التطبيق بين وجود الفنك في افريقية وقول ابن البيطار ان الفنك يؤْتى بهِ من بلاد الصقالبة ففسرهُ بقولهِ ان العرب استعملوا هذه اللفظة لهذا الحيوان الافريقي ثم توسعوا فيها واطلقوها على انواع كثيرة من الفراء كالدلق

---

(١) دليل الحيوان الى لغة عرب السودان للبكباشي امري (٢) الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادى شير

(٣) Histoire du Fenek, par J. J. Clément Mullet, Revue de l'Orient 1857

وغيرهِ والحقيقة على ما اظن ان الفنك عند موّلفي العرب كابن البيطار وغيرهِ هو هذا الحيوان المسمى قورساق بالتركية ويعرف عند الفرس بالفنك ثم استعملها عرب افريقية لهذا الحيوان الافريقي للمشابهة بين الاثنين فانهما نوعان من الثعالب. ولا اظن ان كتاب العرب اطلقوا لفظة الفنك على انواع كثيرة من الفراء بل على نوع خاصٍ منهُ بدليل ذكرهم لهذه الفراء كل نوع منها على حدة فقد جاء في المقدسي (طبع ليدن صفحة ٣٢٥) "ومن خوارزم السمّور والسنجاب والقاقوم وفنك ودله والثعالب". ويفهم هذا المعنى ايضاً من ابن البيطار فانهُ يظهر من كلامهِ ان الفنك حيوانٌ قائم بنفسهِ وذكر معهُ القاقوم والحوصل (انظر لفظة فنك في دوزي)

◆ الشَّرِه (١) ◆ Gulo E. Glutton. F. Glouton

◆ الظَرِبان الاميركي ◆ Mephites. E. Skunk. F.Moufettes

◆ الرَاتِل (٢) · آكل العَسَل ◆ Mellivora E. & F. Ratel

◆ الرَاكُون (٣) ◆ Procyon. E. Racoon F. Raton

◆ القُوْطي (٤) ◆ Nasua. E. & F. Coati.

◆ الدُّبّ ◆ Ursus. E.Bear. F. Ours

◆ اليَغْر · الغُرْغُور · الغُرَيْر ◆ Meles taxus. E. Badger F. Blaireau

نوعٌ من السباع بين الكلب والسنّور في الحجم وهو قصير القوائم اغبر اللون لكنَّ قوائمهُ سود ولهُ خطان اسودان على جانبي وجههِ وباقي الوجه ابيض. وقد جاء في الدميري ان "اليغر دابة تكون بخراسان تسمن على الكد وقيل هي بالغين المعجمة. قالوا في امثالهم اسمن من يغر". وهذا المثل مشهور في الشام لكنهم يقولون "اسمن من غُرَيْر". ولفظة اليغر هذه فارسية الاصل على ما اظن فان هذا الحيوان يسمى شغر بالفارسية فيحتمل ان تكون لفظة يغر محرفة من شغر بخطإِ النسَّاخ. ولا يوجد اليغر في بلاد العرب فلا ينتظر وجود اسم لهُ في العربيَّة. اما لفظة الغرغور فقد جاء عنها في محيط المحيط انها دويبة غاية في السمن وهي تشبه كثيراً لفظة الغرير المستعملة في الشام واهل الشام يصفونهُ بالسمن ايضاً. اما قول بعضهم ان هذا الحيوان يسمى عناق الارض فبعيد عن الصحة (انظر عناق في عدد نوفمبر)

ويظهر ان هذا الحيوان المسمى Badger كان سبباً لخلاف كثير فالذين ترجموا

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) تعريب المرحوم احمد فارس

التوراة الى الانكليزيَّة ترجموا لفظة تحش العبرانية Badger (خروج ٢٥ : ٥) نقلاً عن التوراة الكلدانية ثم عادوا وترجموها Sealskin في الطبعة المنقحة وهي اقرب الى الصواب وبسبب هذا الخطإ في الترجمة الانكليزيَّة اخطأ الشارحون للتوراة العربية ففسروا لفظة تخس في بعض نسخ التوراة العربية بلفظة عناق الارض ظنًّا منهم ان عناق الارض هو المسمى Badger بالانكليزية . والرأي المعوَّل عليهِ عند علماء التوراة الآن ان لفظة تحش العبرانية هي التخس او الدُخس بالعربيَّة وهو الدلفين . وقد ظن بعضهم ان لفظة التخس العربيَّة تطلق على الدلفين والدوغونج والفقَّمة والحقيقة ان التخس هو الدلفين لا غير كما سيأتي في بابهِ والدوغونج هو الاطوم والملصة والزاخة . اما الفقَّمة فلها اسماء اخرى ايضاً . ومن المحتمل ان العبرانيين اطلقوا هذه اللفظة على عدة انواع من الحيوانات البحرية اللبونة وانما العرب استعملوها للدلفين فقط وهم يستعملونها بهذا المعنى في وقتنا الحاضر كما سيجيء . وهناك رأي آخر في لفظة تحش العبرانية وهو انها من تحس بالمصرية القديمة بمعنى الجلود الحمر(١)

❖ **كلب الماء . ثعلب الماء** ❖ Lutra. E. Otter F. Loutre جنسٌ من السباع المائية وهو طويل الذنب قصير القوائم والاذنين لونهُ احمر قاتم . اما تسميتهُ بكلب الماء فعن القانون ترسترام و يظهر انهُ الاسم الذي يعرف بهِ هذا الحيوان في الشام . وقد سماهُ احمد فارس ثعلب الماء لان كلب الماء في اكثر الكتب العربية يطلق على البيدستر وسيأتي ذكرهُ

❖ **الدَلَق** (معرَّب دَله بالفارسية) ❖ Mustela foina. E. Marten. F. Fouine حيوانٌ شبيهٌ بابن عرس الَّا انهُ اكبر منهُ و يقرب من السنَّور في الحجم وهو اصفر اللون وبطنهُ وعنقهُ مائلان الى البياض . وطنهُ حنوب اوربا وآسيا من الاناضول والشام غربًا الى جبال حملايا شرقًا

وقد جاء في الالفاظ الفارسية المعربة ان الدلق هو القاقم واما وصفهُ في الكتب العربيَّة فمشوشٌ جدًّا ولم اقدر ان اهتدي منها الى حقيقة امر هذا الحيوان ولذلك اعتمدت على معجم كزيميرسكي ودوزي ومفردات ابن البيطار باللغة الفرنسوية . وقد يكون الدلق هو القاقم كما يقول السيد ادّى شير ولعلهُ اخذ ذلك عن "البرهان القاطع" والاثنان ثقة يعول عليهما وانما ارى ان كتَّاب العرب يذكرون الدلق والقاقم معًا كانهما حيوانان مختلفان فالدميري

---

(١) Encyclopedia Biblica

ذكر الاثنين ولم يقل ان الدلق هو القاقم وقد جاء في المقدسي (صفحة ٣٢٥ طبع ليدن) " ومن خوارزم السمور والسنجاب والقاقوم وفنك ودله (اي الدلق) والثعالب "

◆ **الظَّرِبان** ◆ Putorius. E.Polecat. F. Putois حيوانٌ من عائلة ابن عرس في حجم القط الاهلي اغبر اللون مائلٌ الى السواد حاد البصر جدًّا رائحتهُ كريهة منتنة ويسمى في مصر ابا المنتن

وقد ظن بعضهم ان الظربان هو المسمى Skunk بالانكليزية وهذا الحيوان لا يوجد الاَّ في اميركا والظربان معروف عند العرب قبل اكتشاف اميركا بمئاتٍ من السنين وهذه اللفظة مستعملة في بلاد العرب في وقتنا الحاضر وقد ذكرها دوطي (١) وظن انهُ من الحيوانات الخرافية وقد سألت اعرابيًّا من الحجاز عن هذا الحيوان فقال لي انهُ معروف عندهم ويسمونهُ الظُرُنْبان وقد سماه المرحوم احمد فارس القرقضون القذر واظن ان بقطر اخذ عنهُ وسماه القرقضون القذر ايضاً . وسماه استاذنا الدكتور بوست القط القذر. وقد وصفهُ لسان العرب وصفاً حسناً قال انهُ دويبة شبه الكلب اصلم الاذنين طويل الخرطوم اسود السراة ابيض البطن منتن الرائحة

◆ **ابن عِرْس** ◆ Mustela vulgaris & c. E. Weasel. F. Belette نوعٌ من السباع في حجم الفار وهو اصلم الاذنين مستطيل الجسم ويوجد منهُ انواع كثيرة فالموجود منهُ في مصر والشام يعرف عند عامة المصريين بالعرْسة وهو اصفر الظهر ابيض البطن

◆ **السمُّور** (وهي سمور بالتركية والهندستانية (٢)) ◆ M.Zibellina. E. Sable. F. Zibelline حيوانٌ فروتهُ من احسن الفراء وهو شبيه بابن عرس واكبر منهُ احمر اللون مائل الى السواد . رأسهُ مخروطيّ الشكل واذناه طويلتان بالنسبة الى افراد هذه العائلة

◆ **القاقم . القاقوم** (معرَّب قاقم بالتركية) ◆ M. Ermina. E. Stoat or Ermine F. Hermine حيوانٌ توخذ منهُ الفراء وهو شبيه بابن عرس واكبر منهُ . لونهُ احمر قاتم في الصيف وابيض يقق في الشتاء

◆ **ابن مِقْرَض** ◆ M. furo. E. Ferret F. Furet حيوانٌ شبيه بابن عرس

---

(١) Arabia Deserta II, 145

(٢) The Century Dictionary

وآلف منهُ واكبر لونهُ ابيض مائل الى الصفرة ويدجن لصيد الجرذان والارانب · وقد جاء في كتاب الحيوان للجاحظ ان" ابن مقرض دويبة آلف من ابن عرس ويصيد العصافير صيدًا كثيرًا وذلك انهُ يؤخذ فيربط بخيط شديد الفتل ويقابل بهِ بيت العصفور فيدخل عليهِ فيأخذهُ . . . فلا يزال كذلك ولو طاف على الف جحر فاذا حلَّ خيطهُ ذهب ولم يقم" وهذا يشبه كثيرًا وصف الحيوان الذي يسميهِ الانكليز Ferret فانهم يربطونهُ بخيطٍ ويطلقونهُ على بيوت الارانب ليصيدها فاذا حلَّ خيطهُ بقي داخل البيت ولم يعد · وهو الذي سماهُ المرحوم احمد فارس خطاف الفنك ظنًّا منهُ ان الفنك هو الارنب الاهلي وقد تبعهُ في ذلك استاذنا الدكتور بوست في كتابهِ نظام الحلقات

❖ القَفَط (١) ❖ Trichecus rosmarus. E. Walrus F. Morse نوعٌ من السباع المائية وهو شبيهٌ بالفقمة الا انهُ اكبر منها حجمًا وهو قبيح المنظر وللذكر منهُ نابان طويلان في فكهِ الاعلى

وقد سماهُ بعضهم فرس البحر وارى ان هذه التسمية توقع في الالتباس لان فرس البحر حيوانٌ آخر مشهور بهذا الاسم عند العرب ويوجد غير ذلك حيوانٌ آخر صدفي يعرف عند الانكليز بما ترجمتهُ فرس البحر ولذلك ارى ان احسن تسمية هي هذه التي وضعها المرحوم احمد فارس

❖ الفقمة (٢) (اظنها تعريب .Phoke باليونانية) · ابو مزينة (٣) · عجل البحر (٤) · شيخ البحر (٥) · ❖ Phoca. E. Seal. F. Phoque جنس من السباع المائية وهي شبيهة بالسمك ظاهرًا لكنها من الحيوانات اللبونة ومن ذوات الرئتين · وتعرف في سواحل الشام بالفقمة وفي سواحل المغرب يسمونها بل مرين وهي تعريب بوي مرين بالاسبانيولية اي بقر البحر (٦)

(ستأتي البقية)

الدكتور امين المعلوف

---

(١) وضع المرحوم احمد فارس (٢) محيط المحيط (٣) الدميري والقزويني (٤) احمد فارس
(٥) ابن البيطار (٦) ابن البيطار باللغة الفرنسوية

اسباب الاحتلال البريطاني

(٩)

ذكرنا في الفصل السابق ان الخديوي اضطرَّ اضطرارًا ان يردَّ عرابي الى نظارة الحربيَّة خوفًا منهُ وان الحكومة الانكليزيَّة رأَت حينئذٍ انها لا تستطيع التغلُّب على عرابي الَّا بالقوة وذكر لورد كرومر نقلًا عن المحررات الرسميَّة ان اهالي القطر عدُّوا رجوع عرابي الى نظارة الحربيَّة فوزًا لهم ودليلًا على قرب طرد الاجانب كلهم من البلاد واسترجاعهم لاطيانهم التي اشتراها منهم الاوربيون او ارتهنوها والغاء ديون الحكومة . وهاجر كثيرون من المسيحيين وطلب الانكليز نزلاء الاسكندرية من حكومتهم ان تبادر الى حمايتهم وارسل السر تشارلس كوكسن يقول ان كل يوم تتأَخر فيهِ انكلترا يزيد عنفوان الجنود وعبثهم بالنظام . وجعل الضباط يكرهون الاهالي على ختم عريضة يطلبون بها خلع الخديوي وطلب رئيس المجلس من النواب ان يعودوا الى بيوتهم لكي لا يجبروا على امضاء تلك العريضة ووقفت اشغال الحكومة كلها الَّا في نظارة الحربيَّة واستولى الذعر على البلاد كلها . وارسل السر ادورد ملت الى حكومتهِ يقول انهُ يخشى في كل ساعة من حدوث ثورة على المسيحيين . وثبت حينئذٍ ان الحكومة المصرية لم تعد قادرة على حماية المصالح المالية الاوربية وان السلطة صارت في يد الحزب العسكري وانهُ لا بد من المداخلة الاجنبيَّة

وكانت الدولة العلية تتمنَّى منذ عهد طويل ارجاع القطر المصري اليها وقد ملأَت دواوين اوربا بالاحتجاج تلو الاحتجاج على مداخلة الاوربيين في الشؤُون المصرية وعلى اغفالهم سلطة الباب العالي في مصر فكانت الفرصة حينئذٍ لتعيد الدولة سلطتها فان الخديوي وانكلترا وفرنسا حاولوا اصلاح الحال من غير الالتجاء اليها ففشلوا وكانت الدول الاوربيَّة كلها ما خلا فرنسا تودُّ الالتجاء اليها لاخماد الثورة المصرية

ولكن رجال الحكومة العثمانية لا يغتنمون الفرص حالما تسنح لهم بل يضعون العقاب بايديهم في سبيلهم . وكانت فرنسا قد عدلت عن اعتراضها على مداخلة الباب العالي وطلبت ان تحلَّ المسألة المصريَّة بواسطة مؤتمر دولي والباب العالي يكره الالتجاء الى المؤتمرات فارسل مأمورًا ساميًا الى مصر وهو درويش باشا حاسبًا انهُ يسكّن الاضطراب ويرد المياه الى مجاريها فلا يبقى داعٍ للمؤتمر وارسل مع درويش باشا اسعد افندي . وفُرض على الاول منهما ان يحاسن الخديوي ويضاد عرابي وعلى الثاني ان يفعل على الضد من ذلك فيحاسن

عرابي ويضاد الخديوي وأُمر كلٌ منهما ان يخاطب الاستانة رأساً لكي لا يتفقا على شيءٍ . وأُمر درويش باشا ان يستشير قناصل المانيا والنمسا وايطاليا ويستعين بهم وأُمر اسعد افندي ان يبذل جهدهُ في احباط دسائس الاوربيين . وأُمر درويش باشا ايضاً ان يقبض على عرابي ورؤساء حزبهِ ويرسلهم الى الاستانة ويبطل مجلس النوَّاب ويقلل نفوذ الخديوي ويزيد نفوذ السلطان ويطلب الجنود من الاستانة اذا رأى موجباً لذلك . وأُمر اسعد افندي ان يشكر وجوه القطر واعيانهُ على اخلاصهم للسدَّة السلطانية وان يؤَكد لهم ان السلطان لا ينوي تقليل السلطة المعطاة للخديوي بالفرمانات وان ارسال الجنود الى مصر رأي سيئ وخيم

وكان الباب العالي يكره ارسال جنودهِ الى مصر لمحاربة الجنود المصرية ويود ان يقنع المصريين انهُ يحميهم من اعتداء الاوربيين

وجاء وفد من العلماء الى درويش باشا في ١٠ يونيو وقام واحد منهم خطيباً وجعل يمدح الجيش لانهُ حفظ البلاد من طمع الكفار . فنهض درويش باشا وقال للحضور انهُ اتى ليأمر بما يراهُ لازماً لا ليُؤمر وامسك رجل من حاشيتهِ بذلك العالم واخرجهُ من مجلسهِ

وظهر حينئذٍ كأَن السلطة ستخرج من يد الجيش ولكن حدث حادث ثبت منهُ انهُ لا يمكن حفظ البلاد من غير الالتجاء الى الجيش

كان اهالي الاسكندرية قد اظهروا العداء للاوربيين وجعلوا يهينونهم ويبصقون عليهم في الشوارع . وحذَّر رجل من الاهالي احد اليونانيين في ٩ يونيو قائلاً ان اولاد العرب عازمون على ذبح النصارى . وجال بعض الرعاع في الشوارع في اليوم التالي وهم ينادون ”آخرتكم يا نصارى“ . وفي الحادي عشر من يونيو حدثت المذابح في ثلاثة اماكن في وقت واحد . وقد اتَّهم البعض عرابي بانهُ امر بهذهِ المذابح واتهم غيرهم الخديوي وفي جملة الذين اتهموهُ بذلك المستر بلنت . وقال لورد كرومر ان الذين بحثوا البحث المدقق في هذه المسألة لم يجدوا اقل دليل على انهُ كان للخديوي يدٌ فيها ومن رأي السر ادورد ملت ان عرابي لم يامر بها وانها جاءت من نفسها كنتيجة للاضطراب الذي كان مستوليًا حينئذٍ وايَّد لورد كرومر رأيهُ ولكنهُ لم يبرئ عرابي وانصارهُ من المسؤُولية الادبيَّة لانهم هم الذين اثاروا البغض للاجانب في نفوس رعاع الاهالي

وفي ١٣ يونيو ارسل السر ادورد ملت الى لورد غرانفل ان مساعي درويش باشا اخفقت فاضطر ان يسلّم بقوة عرابي وان يحمل معهُ مسؤُولية اجراء اوامر الخديوي . ثم

وزّع النياشين على حزب عرابي وعلى حزب الخديوي على السواء لكن هيبتهُ سقطت ولم يزرهُ احد من ضباط الجيش . وفي ذلك الوقت نفسهِ اخبر المابين لورد دفرن ان عرابي خضع خضوعًا تامًّا وان الامن عاد الى نصابهِ واخبر موزورس باشا لورد غرانفل ان السلطان انعم على عرابي بالنشان المجيدي الاول وان عرابي اعرب عن شكرهِ وولائهِ للسدَّة السلطانية فلم يبقَ وجه لانشغال البال

ويظهر عدم خضوع عرابي من انهُ اشار على درويش باشا في ٥ يوليو بالخروج من القطر المصري . وقال لهُ اسعد افندي في ٨ يوليو ان السلطان يدعوهُ للذهاب الى الاستانة فابى اجابة الدعوة واخيرًا اعترف وزير الخارجية العثمانية للورد دفرن ان عرابي جاهر بالعصيان

وثبت حينئذٍ ان لا بدَّ من عمل يُعمَل والاَّ شملت الثورة البلاد كلها وقد بلغ عدد المهاجرين من القطر المصري في ١٧ يونيو ١٤٠٠٠ وبقي ٦٠٠٠ ينتظرون السفن ليخرجوا بها من القطر . وفي ٢٦ يونيو قتل الرعاع عشرة من اليونان وثلاثة من اليهود في بنها واشار عرابي باستصفاء اموال كل الاوربيين الذين يغادرون القطر المصري . ومرض السر ادورد ملت حينئذٍ واضطر ان يغادر القطر وهو يظن ان السم دُسَّ لهُ قصد قتلهِ

ونتج من مذبحة الاسكندرية ان اسرعت الدول الاوربيَّة الى تلافي الخطب فقال المسيو ده فرسينه ان عقد المؤتمر صار ضربة لازب فلا بدَّ من عقدهِ من غير ابطاء وعرضت فرنسا وانكلترا على الدول ان يساعدنهما في اقناع السلطان بان يرسل جنودًا الى مصر تساعد الخديوي على حفظ سلطتهِ بشرط ان لا يتعرَّض للحقوق الممنوحة للخديوي بالفرمانات السلطانية ولا للمعاهدات الدولية الحاضرة ولا تقيم الجنود العثمانية في القطر المصري اكثر من شهر الاَّ اذا طلب الخديوي ذلك وصادقت الدول الاوربية العظمى على طلبهِ . والحكومة المصرية تتحمل نفقات هؤُلاء الجنود . واخيرًا قرَّ القرار على عقد مؤتمر دولي للاتفاق على ما يجب عملهُ فعقد المؤتمر في الاستانة ولم يحضرهُ معتمد من قبل الدولة العلية

وبينما كان المؤتمر يبحث في كيفية ارسال الجنود العثمانية الى القطر المصري كانت احوال القطر صائرة من رديء الى اردأ وثبت للملإ ان الحكومة كلها صارت في يد عرابي حتى قال بسمارك ان عرابي صار قوة يجب ان يحسب حسابها " avec lequel il fallait compter " وقال المسيو ده فرسينه انهُ يمكن اصلاح الحال بالاتفاق مع عرابي لكن انكلترا اجابتهُ قائلة انهُ لا يمكن اصلاح الحال ما لم يسقط عرابي والحزب العسكري

واسند الخديوي رئاسة النظار الى راغب باشا وجعل عرابي ناظرًا للحربية وكان ذلك

بمشورة قنصلي المانيا والنمسا فلم يفلح راغب باشا في تسكين ثورة الحزب العسكري ورد النظام الى البلاد

وكانت الحكومة الانكليزية والامة الانكليزية قد رأتا ان المساعي السياسية لا تجدي نفعاً وانهُ لا يمكن اخماد الثورة الاَّ بالقوة . وقد بلغ نظارة البحرية من اوائل يونيو ان عرابي آخذ في تحصين طوابي الاسكندرية ووضع المدافع فيها في وجه العمارة الانكليزية وقد امر السلطان بمنع هذا التحصين وعُمل بامرهِ مدة ثم أُعيد التحصين وزيد عدد الحامية . واجتمع مجلس النظار في ٤ يوليو وتكلم فيهِ عرابي وحمل حملة منكرة على السلطان وامر ضباط الجيش ان ينقطعوا عن زيارة درويش باشا وقيل لدرويش باشا ان مهمتهُ قد انقضت

وأُمر لورد الستر امير العمارة الانكليزية ان يمنع الاستمرار على تحصين الاسكندرية واذا لم يمتنع فعليهِ ان يخرب الاستحكامات ويسكت المدافع اذا اطلقت عليهِ النار . وأُخبرت الحكومة الفرنسوية بذلك وطُلب منها ان تشارك انكلترا . وأُخبرت سائر الدول ايضاً . فقال المسيو ده فرسينه لسفير انكلترا ان الحكومة الفرنسوية لا يمكنها ان تأمر اسطولها ليشارك الاسطول الانكليزي لان ذلك يعد بمثابة فتح حرب على مصر والحكومة الفرنسوية لا تستطيع ان تفتح حرباً من غير مصادقة مجلس النواب

وفي ٦ يوليو ارسل لورد الستر الى قومندان الحامية في الاسكندرية يطلب منهُ ان ينقطع عن انشاء الاستحكامات فاجاب انهُ لم يعمل شيئاً جديداً وصادق درويش باشا على ذلك . وأُعيد تحصين الطوابي في ٩ يوليو فبعث لورد الستر الى قناصل الدول الذين في الاسكندرية يعلمهم انهُ عازم على اطلاق المدافع على الحصون ما لم تسلم لهُ الطوابي المشرفة على البوغاز في اربع وعشرين ساعة وأُعلمت دول اوربا بذلك . فاجاب السلطان انهُ يرسل الجواب الى لورد دفرن في ١١ يوليو الساعة الخامسة وعيَّن صدراً جديداً فزار لورد دفرن وقال لهُ انهُ يأتيهِ بالجواب النهائي لحل المسألة المصرية في ١٢ يوليو

وغنيٌّ عن البيان ان اصحاب الديون المصرية من الفرنسويين والانكليز كبيت روتشيلد وغيرهِ كان لهم في القطر المصري نحو مئة مليون جنيه ديناً على الحكومة المصرية . وعندهم ان اكبر ضامن لهذا الدين ان تحتل انكلترا القطر المصري وتراقب شؤُونهُ المالية والاَّ فاموالهم كلها في خطر من الضياع فلا يستغرب منهم ان يبذلوا كل الوسائل في اوربا لحمل انكلترا على احتلال القطر المصري وان يبذلوا ايضاً كل الوسائل في الاستانة لجعل رجال الدولة يغضون الطرف ويسوّفون البحث الى ان ينقضي الامر على ما يريد اصحاب الدين . هذا هو

الحل المعقول لكل ما حدث وقد صرَّح لورد كرومر ببعضهِ واقام الادلة عليهِ من المحررات الرسمية كما تقدم وكما سيجيء

ومن يوم ابتدأ اسمعيل باشا يستدين الاموال الطائلة من اوربا وضع اساس المراقبة الاوربيَّة او الاحتلال الانكليزي نعم ان المراقبة والاحتلال ليسا فرضاً واجباً على كل بلاد تستدين الاموال من غيرها ولكنهما يصيران واجبين اذا ساءت احوال البلاد وخاف الدائنون على اموالهم فلو اكتفت مصر باستدانة الاموال اللازمة لتثمير خيراتها الطبيعيَّة وعرفت كيف تحسن ادارتها حتى توفي تلك الاموال او اقساطها في مواعيدها لما كان ثمت موجب للاحتلال ولا للمراقبة. والآن اذا استمرَّ النظام وحسن الادارة وأُمن الرجوع الى الفوضى الماضية او الى خلل الاحكام لا يبقى داعٍ للاحتلال ولا للمراقبة. ولكن يخشى من ان الغرور والطيش يحملان بعض المتصدين للزعامة حتى يغرّروا بالبلاد فيعيدوا اليها الخلل الذي نجت منهُ وحينئذٍ تتوطَّد اقدام الاحتلال الى ما شاء الله. ويخشى ايضاً من ان بعض الافَّاقين او المستأجرين بالاموال الاوربيَّة يزيّنون المحال للذين يغترُّون باقوالهم فيصخبون ويقلقون راحة السكان ويحملونهم على اعمال تخيف اصحاب الديون او تجعلهم يتذرَّعون بها الى إجبار حكوماتهم على ادامة الاحتلال لانهم لا ينتظرون ضماناً لاموالهم اقوى منهُ. ولقد رأينا من حين نظرنا في المسألة المصرية انها مسألة مالية المال ولَّدها والمال دعا الى تعقيدها وادامتها فجاءت اقوال لورد كرومر مؤيدةً لذلك وقولهُ فصل الخطاب في هذا الباب فعلى الذين يودون ان تجلي انكلترا عن القطر المصري ان يبذلوا جهدهم في توطيد دعائم الامن في البلاد اولاً حتى يأمن اصحاب الديون على ديونهم

هذا وقد ذكر لورد السنر في تقريرهِ انهُ شرع في ضرب طوابي الاسكندرية في الحادي عشر من شهر يوليو الساعة السابعة صباحاً ولم تأتِ الساعة ٥ ونصف بعد الظهر حتى اسكت البطريات كلها وفي اليوم التالي خرجت الحامية المصرية من الاسكندرية بعد ان احرقتها واقبل الرعاع على نهبها وقُتل جمهور من الاوربيين. ولام لورد كرمر حكومتهُ لانها لم تبادر الى انزال الجنود الى الاسكندرية لمنع امتداد النار فيها ومنع الرعاع من نهبها. ولكنهُ برَّرها في ضربها بدعوى ان قمع الثورة العرابية كان امرًا واجباً ولما احجمت عنهُ تركيا وفرنسا صارت انكلترا مطالبة بهِ وحدها

فيكتوريان ساردو

نعت انباء باريس منذ ايام روائيًا من اشهر كتابها كان يراعهُ في طروسهِ كحسام نبوليون في حروبهِ · كلاهما ماضٍ فاتك نهض بصاحبهِ من الضعة الى الرفعة · فساردو ضرب بيراعهِ هامة الفقر فاطاحها · ونبوليون ظمن بحسامهِ سحابة الشك عن شمس النصر فازاحها · ولو وزع اهل الادب مؤلفات ساردو وكتبهُ على شهور حياتهِ لاصاب كل شهر منها مؤلف جليل النفع جميل الاثر

عمل ساردو على انهاض فن التمثيل في النصف الاخير من القرن الماضي وكانت المراسح فقيرة برواياتها والروايات قليلة الحيل الروائية · حقيرة المواضيع · فانشأ لاهل باريس نيفًا وثمانين رواية طبقت شهرة بعضها الآفاق كفيودورا وتوسكا ومدام سان جين وجسموندا ولاسورسيار فحملتها ساره برنار في صدرها وعلى لسانها الى مدن الغرب والشرق الزاهرة تحدث بفضل هذا الرجل على الادب· وقد شاهد اهل مصر منذ ايام اثرًا من آثارهِ اظهرتهُ جوقة سارة برنار على مرسح عباس فكأَنها احبت ان تخلب عقول سامعيها بيراعهِ الساحر وتحدثهم بشروق شمسهِ قبل ان ادركها الغروب

كان والد ساردو معلمًا ريفيًا قدم باريس في طلب القوت فأنشأَ في احد احيائها كتّابًا للتعليم كان يختلف اليهِ بعض اولاد الفقراء فيكسب منهُ ما يسد بهِ جوع ذويهِ · وبينما هو يعالج داء الفقر عام ١٨٣١ رزقهُ الله ولدًا هو صاحب الترجمة فلم يخفف قدومهُ وطأَة الاملاق عن ابيهِ · فتقلب في احضان الفقر ثلاثة اعوام اصيب في خلالها بمرض ضاعت حيلة ابيهِ واتعابهُ في معالجتهِ فارسلهُ الى جدهِ وبعد ان اقام في ضيافتهِ اعوامًا طويلة عاد الى اهلهِ فوجدهم على مثل ما كانوا فيهِ · فظل يتدرج في مراتب الفقر وينتقل في مدينة باريس من شارع الى شارع الى ان بلغ الخامسة عشرة من سنيهِ فدخل مدرسة هنري الرابع وخرج منها بعد اربعة اعوام الهتهُ فيها الاشجار عن الاشعار ومقاعد الحدائق عن مقاعد المدرسة · ولما بلغ التاسعة عشرة انصرف الى مكاتب المدينة يطالع كتبها التاريخية بشغف يلتهب كالنار في صدرهِ · فتراوحت آمالهُ بين تعلم الطب والتعليم الذي كان يحضهُ ذووهُ على ولوج بابهِ · الَّا انهُ رأَى من فقر ابيهِ في احترافهِ ما بغَّضهُ بهِ. فولع بدراسة الطب عامًا ثم تركهُ · وطفق يطوف في شوارع باريس ومجتمعاتها وانديتها حتى اصبح ثقة بما يرويهِ عنها وعن ثورة عام ١٨٤٨ من النوادر والحوادث والاخبار وكان يكسب من الدروس التي يدرسها

والاعمال التي يقوم بها ما ينفقهُ على نفسهِ وحيداً في غرفة ضيقة بعد ان ترك اهلهُ فراراً من التثقيل عليهم بطعامهِ ولباسهِ ٠ ويشتغل بكتابة رواية دعاها (كهف الطلبة) فلما عرضها عام ١٨٥٤ للتمثيل على مرسح الاوديون كان فشلهُ كبيراً ٠ ولولا بقية ابقتها الهمة والثبات في صدرهِ لقضى حبوط روايتهِ على فسحة آمالهِ ٠ فعاود الكرة بعد ستة اعوام على الاشتغال بتأليف الروايات فافلح وكانت رواية (بات ده موش) فاتحة اسعادهِ في سنة الستين بعد ان اشقاهُ القدر ٢٩ عاماً لم تكشف عنهُ فيها غمامة الفقر ولا ابتسم لهُ ثغر الدهر٠ فواظب منذ ذلك الحين على وضع الروايات التمثيليَّة والاشتغال بما يعلي شأن الادب المرسحي في وطنهِ الى ان توفاهُ الله ٠ فطرق كل ابواب التأليف وكتب روايات حيليَّة من نوع الفودفيل كرواية (بات ده موش) وروايات محزنة كرواية (نوزنتيم) و(سيرافين) و(المنزل الجديد) وروايات مضحكة انتقادية كرواية (لافاميل بنواتان) فانها اكسبتهُ ٣٠٠ الف فرنك و(قرويونا) وروايات تاريخية كرواية (باتري) و(الحقد) و(ترميدور) التي انتقد فيها اعمال الثورة فمنعت الحكومة تمثيلها اثر ما كتبهُ المسيو كلمنسو رئيس الوزارة الحالية مناديًا الحكومة فيها باحترام مبادىء الثورة وقال " ان الثوار والاحرار متضامنون " وقد مزج التاريخ بالهزل في رواية (مدام سان جين) التي اكسبتهُ ٢٠٠ الف فرنك والف روايات قضائية كرواية (فيربول) وانشأ لساره برنار عدة روايات اشتهرت بها اهمها (فيدورا) و(تيودورا) و(توسكا) و(كليوباتره) و(جسموندا) و(لاسورسيار) و(حادثة السم) وعلى الجملة فانهُ لم يدع باباً في التأليف المرسحي الاَّ ولجهُ فشاد بيراعهِ مجداً للمرسح الفرنسوي يدوم على توالي الاعقاب

ولقد ارادت الحكومة الفرنسوية ان تتوّج هذا الرجل الذي عرف الملكية ١٧ عاماً والجمهورية الثانية ثلاثة اعوام والامبراطورية الثانية ١٩ عاماً والجمهورية الثالثة ٣٧ عاماً فعاصر اربع حكومات وشاهد جيلين من الناس وكتب ثمانين رواية فانعمت عليهِ عام ١٩٠٦ بوسام جوقة الشرف من رتبة جران اوفيسيهِ فاسعدهُ الادب على كسب النشب ونيل الرتب

ومما يؤثر عنهُ حينما امسك الفقر بخناقهِ في صغرهِ انهُ قصد ترك باريس الى العالم الجديد فبرح منزلهُ الى المحطة ماراً بمنزل يهدمهُ البناؤون فسقط حجر منهُ على عامل كان قربهُ فقتلهُ فنظر اليهِ ساردو وقال

" ان لي في باريس املاً لم يأفل نجمهُ وحياة لم تغب شمسها . فوالله لأقيمن فيها ولأبلغن مأربي برأس هذا القلم "

ولقد اقام فيها فالف وكتب ونال ما اراد

وخلّفَ في باريس ذكرًا كأنما تداولـــ سمع المرء انملهُ العشرُ

فصح فيهِ قول ابن الوردي

لا تقل قد ذهبت اربابهُ كل من سار على الدرب وصل

هذا ما نشرناهُ في المقطم عن هذا النابغة ونزيد عليهِ انهُ احتفل بدفنهِ في ١٢ نوفمبر فابنهُ المسيو جاستون دو مرج وزير المعارف باسم الحكومة الفرنسوية والمسيو بول هرفيو باسم نقابة المؤلفين الروائيين والمسيو البرفاندل باسم المجمع العلمي الفرنسوي

الوراثة

ناموس الردة او الرجوع الى الاصل

يراد بالردة او الرجوع الى الاصل (reversion) ظهور صفة في الحيوان او النبات كانت في اسلافهِ الاقدمين ثم فقدوها . ويذهب بعض العلماء في سببها ان تلك الصفة كمنت في اعقاب الذين كانت تظهر فيهم اولاً الى ان حرَّكها محرّك او قوَّاها مقوٍ فظهرت ثانيةً في نسلهم . ويذهب غيرهم الى ان ظهورها ثانية لا يستلزم انها كانت كامنة بل قد يكون سبب ظهورها ان الدواعي دعت لها من جديد كما دعت لظهورها في السلف

وقد انتبه الناس الى الردة او الرجوع الى الاصل من قديم الزمان ذكر فلوطرخس المؤرخ ان امرأة يونانية ولدت طفلاً اسود فاتُّهمت بالزنا وأُتي بها الى المحكمة فادَّعت ان احد اسلافها منذ اربعة اعقاب كان حبشيًا . ومن رأي الاستاذ طمسن مؤَلف كتاب الوراثة الذي اشرنا اليهِ في عدد سابق ان دعوى هذه المرأة غير صحيحة ولكن ذكر فلوطرخس لها يدلُّ على تسليم الناس حينئذٍ بناموس الردَّة او الرجوع الى الاصل

وكثيرًا ما تولد المهار وعلى اكتافها خطوط سود رجوعًا الى الاصل المتولدة منهُ . ويتولد من النباتات البستانية كالخس والكرنب نباتات تشبه البرية منها رجوعًا الى اصلها

وقد علل بعضهم ذلك بقولهِ ان الدقائق الكثيرة الحاملة للصفات الوراثية قد يكون بينها دقائق قديمة انتقلت من شخص الى آخر وهي ساكنة لا تنمو ولا تظهر فعلها لانهُ لم يتفق لها ما يدعو الى ظهور فعلها ونموها ثم يتفق لها ذلك اما بسبب المزاوجة او بسبب الجهاد

المستمر بين الدقائق او بزوال ما كان مانعاً من ظهورها فيظهر فعلها وتنمو · مثال ذلك ان يكون عند انسان حديقة فيها كثير من النباتات البستانية ثم يهملها فتبور وتختلط بغيرها من المروج التي حولها وبعد زمن يبني حولها سياجاً و يسمدها و يعتني بها فتنمو فيها بزور بعض النباتات البستانية التي كمنت فيها كل مدة تبويرها · و يظهر ذلك في نوع الانسان ايضاً فان الاولاد الذين يولدون في زمن القحط يكونون نحافاً صغار القامة لكن ذلك لا يؤثر في الجراثيم التي تولدوا منها والتي يتولد منها نسلهم فاذا شبوا وعاد الخصب الى بلادهم ولد لهم اولاد مثل اسلافهم

ومن رأي الاستاذ طمسن ان توقُّف النمو بسبب قلة التغذية ثم عودهُ بكثرتها ليس من قبيل الرجوع الى الاصل وكل ما يوقف النمو ليس في رأيهِ داخلاً ضمن الرجوع الى الاصل مثال ذلك ولادة الولد وشفتهُ العليا مشقوقة كشفة الارنب فانها ليس من قبيل الرجوع الى الاصل بل من قبيل توقف النمو لقلَّة التغذية او لسبب آخر لان الشفة العليا تكون مشقوقة في الجنين حين تكوُّن انفهِ ثم يعلو الانف في نموهِ وتنمو الشفة وتلتحم فاذا حدث ما يعيق نموها بقيت مشقوقة · وقد روى الاستاذ هوثن ان اشبالاً ولدت وشفاهها العليا كشفة الارنب وماتت كلها وظهر لدى البحث ان ذلك ناتج من قلَّة التغذية لان حفَظتها كانوا يطعمون اماتها لحماً لا عظام فيهِ فلما صاروا يطعمونها لحماً بعظمهِ لم تعد تولد بشفاهٍ مشقوقة وصارت تعيش مثل غيرها

فاذا ولد عجل من بقرٍ جماء (اي لا قرون لها) ونبت لهُ قرنان فهذا من قبيل الرجوع الى الاصل لان البقر القرناء هي الاصل والجماء فرع منها ولكن اذا ولد وفي قلبهِ ثلاثة تجاويف بدلاً من اربعة فهذا ليس رجوعاً الى العظايات التي في قلوبها ثلاثة تجاويف فقط بل هو توقف في النمو

الربيبيَّة

الربيب في اللغة زوج الام وقد وضعنا الربيبيَّة لمعنى لا نظن ان العرب وضعوا لهُ لفظة وهو تشبُّه الولد بزوج امهِ كأَن تتزوج بيضاء زنجيًا ثم تتزوج رجلاً ابيض فيولَد لها اولاد من زوجها الابيض يشبهون زوجها الزنجي · ويقول مربو الخيل ومربو الكلاب ان امثلة ذلك كثيرة عندهم

ذكر دارون انهُ كان عند لورد مورتن فرس عربية علاها حمار الوحش فولدت منهُ فلوًا يشبههُ في شكل رأسهِ والخطوط السوداء على قوائمهِ وكتفيهِ ثم علاها حصان عربي ادهم

فولدت مهرين لونهما الغبرة وفيهما خطوط ظاهرة على قوائمهما بل هي فيهما اظهر منها في حمار الوحش وعرفاها مثل عرف حمار الوحش لا مثل عرف الخيل ثم علاها حصان عربي آخر فولدت منهُ مهرًا ثالثًا فيهِ شيءٌ من صفات حمار الوحش

الاَّ ان العالم ستغست انكر ذلك وقال ان الخطوط التي ظهرت في هذه المهار عاديَّة تظهر في المهار عادة وكذلك شعر العرف يكون احيانًا غليظًا واقفًا كشعر الحمر البرية . وذكر سمسن فرسًا ولدت سبعة مهار من حصانين ثم ولدت مهرًا من حصان ثالث وفيهِ خطوط اوضح من الخطوط التي ظهرت في مهار الفرس المذكورة آنفًا ولونهُ اشبه بلون الحمر البرية منهُ بلون تلك المهار. وقال ستغست ان اربعة افراس ولدت بغالاً من الحمير ثم ولدت مهارًا من الخيل وليس فيها شيءٌ من صفات البغال ولا من صفات الحمير

ونقل هربرت سبنسر عن فسيولوجيَّة فلنت ان امرأَة بيضاء تزوجت زنجيًّا ثم تزوجت رجلاً ابيض فولد لها منهُ اولاد فيهم شيءٌ من مزايا زوجها الزنجي الاول

وذكر كورنفن ان امرأَة تزوجت رجلاً اصم فولد لها منهُ ولد اصم ثم تزوجت رجلاً غير اصم فولدت منهُ ولدًا اصم ايضًا ثم ولدت منهُ اولادًا سمعهم عادي

وذكر داروِن ان كلبة جرداء ولدت من كلب اشعر اجراءً بعضها اجرد وبعضها اشعر ثم ولدت من كلب اجرد اجراءً بعضها اجرد وبعضها اشعر. وذكر غيرهُ قطة عادية ولدت من قط ابتر (لا ذنب لهُ وكل القطط في جزيرة مان ببلاد الانكليز بتراء أي لا اذناب لها) اجراءً بعضها ابتر ثم ولدت من قط عادي اجراءً بعضها ابتر. وقد علل بعضهم هذه الحوادث كلها فشك في امانة الزوجة الاولى وقال بوجود الميل الى الصمم في الزوجة الثانية وبأن في دم الكلاب والقطط شيءٌ من اصل الزوج الذي ماثلتهُ اجراؤُها. الاَّ ان الحوادث التي من هذا القبيل كثيرة جدًّا ولا نرى سببًا طبيعيًّا يمنع البيوض التي لم تبلغ من ان تتأَثر باللقاح ولو قليلاً حينما تتأَثر البيوض البالغة منهُ. ففي بعض الحشرات يؤَثر اللقاح في جراثيم البيوض التي في البيوض فتولد الانثى ملقحة حتى تستطيع ان تلد من غير مزاوجة مثال ذلك ان الحشرات الصغيرة التي تسمى منَّ الشجر تتزاوج وتلد واولادها يلدن من غير مزاوجة فوجًا بعد فوج لانها تكون كلها اناثًا واخيرًا تلد ذكورًا واناثًا فتتزاوج ثانية . فاذا كان اللقاح يؤَثر في جراثيم البيوض التي في باطن الاجنَّة والاجنَّة لا تزال بيوضًا فلا عجب اذا اثَّر في البيوض التي حولها

ثم ان اللقاح يبقى في انثى الخفاش بضعة اشهر قبل ان يتولد فيها البيض فان الخفافيش

تتزاوج في الخريف وتنام في الشتاء و يتولد البيض فيها في الربيع وحينئذٍ يفعل بهِ اللقاح فلا عجب اذا بقي اللقاح في اناث غيرها من الحيوانات مدة قبلما يبطل فعلهُ . وكذلك يبقى اللقاح في انثى النحل ثلاث سنوات. وذكر السرجون لبك (لورد افبري) ان نملة لقحت ثم مرَّ عليها ثلاث عشرة سنة لم ترَ فيها ذكرًا وبقيت كل هذه المدة تبيض بيضًا ملقحًا. وقد سلم الاستاذ وِسمن بامكان ذلك في الحيوانات الدنيا ولكنهُ لم يسلم بامكانهِ في الحيوانات العليا قال ولو امكن حدوثهُ في الحيوانات العليا لاستطاعت اناث الحيوانات العليا ان تلد من غير مزاوجة ولا دليل على ان ذلك حدث ولو مرةً في الدهر. ومن رأْي كلود برنار الفسيولوجي ان اللقاح الذي يلقح البيضة البالغة يؤَثر بعض التأْثير في البيوض غير البالغة فيبقى اثرهُ فيها كما قلنا سابقًا وهذا هو رأْي رومانس ايضًا

وذهب غيرهما الى ان اللقاح يؤَثر في الام نفسها . ورجَّح الاستاذ طمسن مذهب القائلين ان الجنين نفسهُ يؤَثر في امهِ فينقل اليها شيئًا مما تولَّد فيهِ من ابيهِ وهذا رأْي السر وليم ترنر وكثيرين غيرهِ من علماء الفسيولوجيا لكن دارون استبعد هذا الرأْي جدًّا

واعترض الاستاذ كارل بيرصن على تأْثير الجنين في الام وتأْثير اللقاح في البيوض غير الناضجة بانهُ اذا كان ذلك صحيحًا وجب ان تزيد مشابهة الاولاد للاب كلما كثر عددهم اي ان تكون المشابهة بين الولد الخامس مثلاً وابيهِ اكثر من المشابهة بين الولد الاول وابيهِ ولا دليل على وجود ذلك من جهة القامة . وعندنا على ذلك ان ما يأْخذهُ الجنين من كل من والديهِ يختلف كثيرًا باختلاف احوال كثيرة من حيث التغذية والنمو فان درجات نمو البيضة مختلفة بحسب عمرها وكذلك قوة اللقاح تختلف بحسب عمرهِ قبل افرازهِ ويظهر لنا ان مشابهة الجنين لابيهِ او لامهِ تزيد او تنقص بحسب نمو اللقاح والبيضة وهذا هو سبب مجيء الجنين ذكرًا او انثى فاذا كانت جرثومة اللقاح بالغة اكثر من البيضة جاء الجنين ذكرًا اي جاءت فيهِ خصائص ابيهِ متغلبة على خصائص امهِ واذا كانت البيضة بالغة اكثر من اللقاح جاء الجنين انثى اي جاءت فيهِ خصائص امهِ متغلبة على خصائص ابيهِ . فاعتراض الاستاذ بيرصن غير وجيه وذلك يبقى تعليل القائلين بتأْثير اللقاح في البيوض غير البالغة وجيهًا الى ان ترد ادلة تنقضهُ او تثبت ما يخالفهُ

دولة آل عثمان

٢

ذكرنا في الجزء الماضي طرفاً من وصف بلاد السلطان محمد اوزبك خان ومجالسهِ نقلاً عن رحلة ابن بطوطة وقد رأينا الآن ان نتم الوصف لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قبل العود الى الكلام على سلاطين آل عثمان اظهاراً لحال البلاد في ايامهم

قال في وصف ابنة السلطان " توجهنا الى هذه الخاتون بنت الملك وهي في محلة منفردة على نحو ستة اميال من محلة والدها فامرت باحضار الفقهاء والقضاة والسيد الشريف ابن عبد الحميد وجماعة الطلبة والمشايخ والفقراء وحضر زوجها الامير عيسى الذي بنتهُ زوجة السلطان فقعد معها على فراش واحد وهو معتلّ بالنقرس وهذه العلّة فاشية في هؤلاء الاتراك ورأينا من هذه الخاتون بنت السلطان من المكارم وحسن الاخلاق ما لم نرهُ من سواها واجزلت الاحسان وافضلت جزاها الله خيراً "

وزار بلاد البلغار في شهر رمضان لتحقيق مسألة علمية وهي قصر النهار فيها ثم عاد الى محلة السلطان اوزبك وحضر صلاة العيد وصادف يوم العيد يوم الجمعة قال " ولما كان صباح يوم العيد ركب السلطان في عساكرهِ العظيمة وركبت كل خاتون عربتها ومعها عساكرها وركبت بنت السلطان والتاج على رأسها اذ هي الملكة على الحقيقة ورثت الملك من امها وركب اولاد السلطان كل واحد في عسكرهِ وكان قد قدم لحضور العيد قاضي القضاة شهاب الدين السايلي ومعهُ جماعة من الفقهاء والمشايخ فركبوا وركب القاضي حمزة والامام بدر الدين القوامي والشريف ابن عبد الحميد . وكان ركوب هؤلاء الفقهاء مع تين بك ولي عهد السلطان ومعهم الاطبال والاعلام فصلى بهم القاضي شهاب الدين وخطب احسن خطبة وركب السلطان وانتهى الى برج خشب يسمّى عندهم الكشك فجلس فيهِ ومعهُ خواتينهُ ونصب برج ثانٍ دونهُ فجلس فيهِ ولي عهدهِ وابنتهُ صاحبة التاج ونصب برجان دونهما عن يمينهِ وشمالهِ فيهما ابناء السلطان واقاربهُ ونصبت الكراسي للامراء وابناء الملوك "

واسهب في وصف مجالسهم وموائدهم وقال انهم يأكلون لحم الخيل ولحم الغنم ويشربون نبيذ العسل وهم حنفية المذهب يحللون شرب النبيذ . ثم وصف ذهابهُ مع الخاتون بيلون الى ابيها ملك القسطنطينية وسماهُ تكفور وهذا خطاء لان الملك الذي كان مالكاً حينئذٍ هو

اندرونيكس الثالث الذي جلس على سرير الملك من سنة ١٣٢٨ الى سنة ١٣٤١ ومهما يكن من سبب هذا الخطإ فوصفهُ للقسطنطينيَّة واهلها في ذلك العصر لا يخلو من فائدة تاريخيَّة ولذلك اقتطفنا منهُ ما يلي قال

سافرنا في العاشر من شوال (سنة ١٣٣٢ للميلاد او سنة ٧٣٣ للهجرة) في صحبة الخاتون بيلون وتحت حرمتها ورحل السلطان في تشييعها مرحلة ورجع هو والملكة وولي عهدهِ وسافر سائر الخواتين في صحبتها مرحلة ثانية ثم رجعن وسافر صحبتها الامير بيدرة في خمسة آلاف من عسكرهِ . وكان عسكر الخاتون نحو خمسماية فارس منهم خدامها من المماليك والروم نحو مئتين والباقون من الترك وكان معها من الجواري نحو مئتين اكثرهنَّ روميات وكان لها من العربات نحو اربعمائة عربة ونحو الفي فرس لجرها وللركوب ونحو ثلاثمائة من البقر ومئتين من الجمال لجرها . وكان معها من الفتيان الروميين عشرة ومن الهنديين مثلهم وقائدهم الاكبر يسمَّى بسنبل الهندي وقائد الروميين يسمَّى بميخائيل ويقول لهُ الاتراك لؤلؤا وهو من الشجعان الكبار

واسهب في وصف ما لقوا في طريقهم من الحفاوة والاكرام الى ان صاروا على عشرة اميال من القسطنطينيَّة قال فلما كان الغد خرج اهلها من رجال ونساء وصبيان ركبانًا ومشاة في احسن زي واجمل لباس وضربت عند الصبح الاطبال والابواق والانفار وركبت العساكر وخرج السلطان وزوجتهُ ام هذه الخاتون وارباب الدولة والخواص وعلى رأس الملك رواق يحملهُ جملة من الفرسان ورجال بايديهم عصي طوال في اعلى كل عصا شبه كرة من جلد يرفعون بها الرواق وفي وسط الرواق مثل القبة يرفعها الفرسان بالعصي ولما اقبل السلطان اختلطت العساكر وكثر العجاج ولم أقدر على الدخول وكان دخولنا عند الزوال او بعدهُ الى القسطنطينية العظمى

ثم وصف مثولهُ بين يدي سلطان القسطنطينية فقال ان اسمهُ تكفور (بفتح التاء المثناة وسكون الكاف وضم الفاء وواو وراء) ابن السلطان جرجيس وابوهُ السلطان جرجيس بقيد الحياة لكنهُ تزهد وترهب وانقطع للعبادة في الكنائس وترك الملك لولدهِ وسنذكرهُ وفي اليوم الرابع من وصولنا الى القسطنطينيَّة بعثت اليَّ الخاتون الفتى سنبل الهندي فاخذ بيدي وادخلني الى القصر فجزنا اربعة ابواب في كل باب سقائف بها رجال واسلحتهم وقائدهم على دكانة مفروشة فلما وصلنا الى الباب الخامس تركني الفتى سنبل ودخل ثم أتي ومعهُ اربعة فتيان من الروميين ففتشوني لئلا يكون معي سكين وقال لي القائد تلك

عادة لهم لا بد من تفتيش كل من يدخل على الملك من خاص او عام غريب او بلدي وكذلك الفعل بارض الهند ثم لما فتشوني قام الموكل بالباب فاخذ بيدي وفتح الباب واحاط بي اربعة من الرجال أمسك اثنان بكمي واثنان من ورائي فدخلوا بي الى مشور كبير حيطانهُ بالفسيفساء قد نقش فيها صور المخلوقات من الحيوانات والجماد وفي وسطهِ ساقية ماء ومن جهتيها الاشجار والناس واقفون يميناً و يساراً سكوتاً لا يتكلم احد منهم وفي وسط المشور ثلاثة رجال وقوف أسلمني اولئك الاربعة اليهم فامسكوا بثيابي كما فعل الآخرون واشار اليهم رجل فتقدموا بي وكان احدهم يهودياً فقال لي بالعربي لا تخف فكذا عادتهم ان يفعلوا بالوارد وانا الترجمان واصلي من بلاد الشام فسألتهُ كيف اسلّم فقال قل السلام عليكم. ثم وصلت الى قبة عظيمة والسلطان على سريرهِ وزوجتهُ ام هذه الخاتون بين يديهِ واسفل السرير الخاتون واخوتها وعن يمينهِ ستة رجال وعن يسارهِ اربعة وكلهم بالسلاح فاشار اليَّ قبل السلام والوصول اليهِ بالجلوس هنيهة ليسكن روعي ففعلت ذلك ثم وصلت اليهِ فسلمت عليهِ واشار اليَّ ان اجلس فلم افعل وسألني عن بيت المقدس وعن الصخرة المقدسة وعن القمامة وعن مهد عيسى وعن بيت لحم وعن مدينة الخليل عليهِ السلام ثم عن دمشق ومصر والعراق وبلاد الروم فاجبتهُ عن ذلك كلهِ واليهودي يترجم بيني وبينهُ فاعجبهُ كلامي وقال لاولادهِ اكرموا هذا الرجل وامنوهُ ثم خلع عليَّ خلعة وامر لي بفرس مسرج ملجم ومظلة مثل التي يجعلها الملك فوق رأسهِ وهي علامة الامان وطلبت منهُ ان يعين من يركب معي بالمدينة في كل يوم حتى اشاهد عجائبها وغرائبها واذكرها في بلادي فعين لي ذلك. ومن العوائد عندهم ان الذي يلبس خلعة الملك ويركب فرسهُ يطاف بهِ في أسواق المدينة بالابواق والانفار والاطبال ليراهُ الناس واكثر ما يفعل ذلك بالاتراك الذين يأتون من بلاد السلطان أوزبك لئلا يؤذون فطافوا بي في الاسواق

و بعد ان وصف القسطنطينية وكنيسة ايا صوفيا ذكر لقاءهُ لابي الملك فقال

وهذا الملك ولّى الملك لابنهِ وانقطع للعبادة وبنى مانستاراً (ديراً) خارج المدينة على ساحلها وكنت يوماً مع الرومي المعين للركوب معي فاذا بهذا الملك ماشياً على قدميهِ وعليهِ المسوح وعلى رأسهِ قلنسوة لبد ولهُ لحية بيضاء طويلة ووجههُ حسن عليهِ اثر العبادة وخلفهُ وامامهُ جماعة من الرهبان وبيدهِ عكاز وفي عنقهِ سبحة فلما رآهُ الرومي نزل وقال لي انزل فهذا والد الملك فلما سلم عليهِ الرومي سألهُ عني ثم وقف وبعث اليَّ فجئت اليهِ فاخذ بيدي وقال لذلك الرومي وكان يعرف اللسان العربي قل لهذا السراكنو يعني المسلم انا اصافح اليد التي دخلت

بيت المقدس والرجل التي مشت داخل الصخرة والكنيسة العظمى التي تسمى قمامة وبيت لحم وجعل يدهُ على قدمي ومسح بها وجههُ فتعجبت من اعتقادهم فيمن دخل تلك المواضع من غير ملتهم ثم اخذ بيدي ومشيت معهُ فسألني عن بيت المقدس ومن فيهِ من النصارى واطال السؤال ودخلت معهُ الى حرم الكنيسة الذي وصفناهُ آنفاً ولما قارب الباب الاعظم خرجت جماعة من القسيسين والرهبان للسلام عليهِ وهو من كبارهم في الرهبانيَّة ولما رآهم ارسل يدي فقلت لهُ اريد الدخول معك الى الكنيسة فقال للترجمان قل لهُ لا بد لداخلها من السجود للصليب الاعظم فان هذا مما سنتهُ الاوائل ولا يمكن خلافهُ فتركتهُ ودخل وحدهُ ولم ارهُ بعدها

فهذه صورة مجملة لحال بلاد الروم لما ابتدأت دولة آل عثمان ولاختلاط الترك بالروم فيها ولاحترام الجميع من كان يأتيهم من العرب فيولونهُ الامامة والقضاء ويتبركون بهِ

ولما توفي السلطان أُرخان خلفهُ ابنهُ الصغير السلطان مراد الاول وعبر الدردنيل سنة ١٣٦٠ واستولى على مدينة ادرنه في السنة التالية وكانت الثانية في مملكة الروم ثم نقل اليها سرير الملك بعد ان تغلَّب على السرب والمجر والفلاخ وبقيت عاصمة آل عثمان من سنة ١٣٦٦ الى سنة ١٤٥٣ . ووالى قائدا جنودهِ لالاشاهين واورينوس الزحف في وادي نهر مارتزا فدوَّخا البلاد وفتحا المدن والقلاع وغنما منها غنائم وافرة . واستولى لالاشاهين على مدينة فيلبي سنة ١٣٦٣ وكانت في يد البلغار منذ سنة ١٣٤٤ فحصنها السلطان مراد وجعلها قاعدة غزواتهِ

ولم تستطع تلك الممالك الصغيرة ان تتحد على العثمانيين وتمنع تقدمهم في بلادها ولا كان عندها جيش عامل منظم تعتمد عليهِ وكان الخلاف قد استحكم بين الامبراطور يوحنا السادس امبراطور القسطنطينيَّة وابنهِ اندرونيكس فمضى الى مدينة افنيون بفرنسا (وكانت كرسي الباباوات من سنة ١٣٠٩ الى سنة ١٣٧٧) لعلَّهُ يقنع البابا باثارة الامم النصرانية لمقاومة سيل العثمانيين الجارف وعاد معهُ البابا اربانوس الخامس الى رومية حيث التقيا بالامبراطور كارلس الرابع وملكة نابلي وملك قبرس وبطرس الاول صاحب لوزنيان وكانوا ينتظرون قدوم اسطفانوس ملك البوصنه . ولكن سعي الامبراطور يوحنا لم يجدهِ نفعاً وكان شأنهُ قد انحط الى درجة ان تجار البندقية الذين قرضوهُ الاموال لنفقة سفرهِ الى افنيون قبضوا عليهِ وهو راجع وحبسوهُ في البندقية الى ان يوفي ما عليهِ ولم يشأ ابنهُ اندرونيكس ان يوفي عنهُ هذا الدين لانهُ لجأ الى البابا وانضم الى الكنيسة الرومانية واخيرًا اوفى الدين

عنهُ ابنهُ الثاني مانوئيل . فلما عاد الى القسطنطينيَّة حرم ابنهُ اندرونيكس من الملك بعدهُ فمضى وانضم الى صاووجي بن السلطان مراد وكان هذا ايضاً خارجاً على ابيهِ وقبض السلطان مراد على الاثنين فقتل ابنهُ وسمل عيني اندرونيكس لكن اندرونيكس لم يكفَّ عن مناوأة ابيهِ فلجأَ الى اهالي جنوى وبمساعدتهم استولى على القسطنطينيَّة وخلع اباهُ وحبسهُ وجلس مكانهُ باسم اندرونيكس الرابع وذلك سنة ١٣٧٦ . وافلت الامبراطور يوحنا من سجن ابنهِ ولجأَ الى السلطان مراد فردَّهُ الى عاصمتهِ ثم تصالح مع ابنهِ بعد سنتين لكنهُ خلعهُ من ولاية العهد واعطاها لابنهِ الثاني منوئيل اي ان مملكة الروم كانت حينئذٍ على حافة الخراب وليس عند امبراطورها مال يفي بنفقات سفرهِ الى فرنسا فيستدين من تجار البندقية ثم يحبس في الدين . واذا هرب من ابنهِ لجأَ الى سلطان العثمانيين . وكل ما قالهُ ابن بطوطة عن عظمتهِ مبالَغ فيهِ جدًّا

وتقدم السلطان مراد في غزواتهِ غرباً الى مضائق البلقان ثم دار جنوباً الى تساليا ووصل الى ترموبيلي واستعان بهِ روجر حاكم اتيكا على صاحب اثينا فوجه جنودهُ الى طيبة عاصمة اثينا فخاف منهُ امراء البلاد المجاورة . وامر البابا اربانوس اهالي البندقية وكل الاساقفة والمطارنة ان يستعدوا لطوارق الحدثان وانهض همة ملوك المجر والسرب والبوسنه والفلاخ لمقاومة العثمانيين فجمعوا رجالهم وزحفوا الى ان صاروا على يومين من ادرنه لكن العثمانيين بيتوهم ليلة السادس والعشرين من سبتمبر سنة ١٣٧١ ومزقوا شملهم ولا يزال ذلك المكان مسمًّى بما معناهُ انحدار السرب وهذه اول واقعة حارب فيها المجر العثمانيين

وعقب ذلك سنةٌ خمدت فيها نيران الحرب حتى تمكن السلطان المراد من مواصلة فتوحهِ في اسيا وزوَّج ابنهُ بياز يد بابنة يعقوب خان صاحب قرمان وكان في صداقها مدينة كوتاهيه وغيرها من بلاد السلاجقة . وبعد ذلك وصلت جنودهُ الى حدود بلاد الارناؤوط واستولت على مونستير واستب ووصلت من جهة اخرى الى صوفية وحاصرتها وفتحتها وذلك سنة ١٣٨٣ وهي مفتاح البلغار ومكدونية وتراقية

واخيرًا اجتمع على السلطان مراد السرب والبوسنه والفلاخ والبلغار الذين نجوا بعد خراب بلادهم وكثيرون من الارناؤوط والتقى بهِ احد جنود السرب وهو في ساحة القتال وطعنهُ بخنجر طعنة كانت القاضية وكان ذلك سنة ١٣٨٩ لكن رجالهُ قبضوا على ملك السرب وكثيرين من فرسانهِ وذبحوهم فوقهُ انتقاماً لهُ منهم وخلفهُ ابنهُ السلطان بياز يد فدفنهُ في جامعهِ الذي بناهُ في برصى وقتل اخاهُ يعقوب لكي لا ينازعهُ في الملك

باب الزراعة

انقلاب عظيم في الزراعة

أطلعنا احد النابغين في هذه العاصمة على اكتشاف يقلب نظام الري في هذا القطر قلباً ويصرف رجال الري عن الاعمال التي ينوون عملها في اعالي السودان ويوفّر على القطر المصري ملايين كثيرة من الجنيهات

وهذا الاكتشاف هو ان مياه السواقي (النواعير) التي عمقها من مترين الى عشرة امتار تحتوي من المواد المغذية للنبات اكثر مما تحتويهِ مياه النيل في زمن الفيضان واكثر كثيراً مما تحتويهِ مياه النيل في غير وقت الفيضان ومياه الآبار الارتوازية. بل هذه الاخيرة لا تحتوي شيئاً من المواد المغذية للنبات . ولما حلل علماء الكيمياء في اوربا مياه السواقي المصرية التي بعث بها اليهم عجبوا من مقدار ما فيها من المواد المغذية وقالوا انها اجود مياه رأوها للري وقد ثبت ذلك لدى كبار رجال الري في هذا القطر حتى لم تبقَ شبهة فيهِ

والظاهر ان الفلاحين يعلمون ان مياه السواقي تفيد الزراعة جدًّا حتى لو كانت الارض رملاً قاحلاً فان الماء المستخرج عن عمق بضعة امتار يحييها ويجعل المزروعات تجود فيها . ولكن الساقية الواحدة لا تروي الّا خمسة افدنة الى عشرة فلا يمكن حفر السواقي الكافية لالف فدان الّا بنفقة كبيرة جدًّا ولا يمكن الري منها الّا بنفقة اكبر اما الرجل الذي انتبه لهذا الامر والفت اليهِ انظار مصلحة الري فاستنبط اسلوباً لاستخراج الماء الغزير بنفقة قليلة وهو مهتمٌّ الآن بامتحان هذا الاسلوب

والظاهر ان احد العلماء انتبه لذلك في بلاد الهند فقد رأينا في تقرير رسمي من بلاد الهند صدر في اوائل هذا العام ان مياه الآبار او السواقي كثيرة المواد التي يغتذي بها النبات . وقال غيرهُ ان النبات لا يغتذي من التراب بل من الهواء والمواد الذائبة في الماء وما التراب سوى منزل لهُ ينبت فيهِ لكي يغتذي من الهواء الذي فوقهُ والهواء والماء اللذين يتخللان التراب

فاذا اثبت الامتحان صحة ما انتبه لهُ المكتشف لم تبقَ صعوبة في ري كل الاطيان البور التي في القطر المصري وكل الرمال المنتشرة حولهُ ولو كانت اعلى من ماء النيل فانها

لا تخلو من الماء العذب تحتها واذا وُجد ماءٌ الى عمق عشرة امتار فانهُ يسهل رفعهُ منها وارواؤُها بهِ بنفقة قليلة وقد لا يزيد ري الفدان الواحد على نصف جنيه في السنة

نعم اذا اثبت الامتحان صحة ما اكتشفهُ هذا الرجل وحققهُ بالبحث الكثير فهو يستحق ان تعطيهُ الحكومة المصرية مئة الف جنيه او تهبهُ عشرة آلاف فدان من اطيانها البور لكي يمتحن اسلوبهُ فيها ويمتلكها اذا ثبت لها نجاحهُ

وقد ارانا من المحارات الرسمية التي معهُ ان بعض رجال الحكومة مهتمٌّ باكتشافهِ هذا فعليهم ان لا يقفوا عند حد الاهتمام والكتابة بل عليهم ان يدخلوا في الموضوع ويساعدوهُ على التجارب الكبيرة لان هذا الاكتشاف هامٌّ جدًّا واذا صحَّ فقيمتهُ للقطر المصري تقدَّر بملايين الجنيهات

خصب بلاد الشام

كنا نعجب بالامس بما بلغهُ محصول بعض الاطيان الخصيبة من الذرة الشامية فان متوسط محصول الفدان منها بلغ نحو ثلاثة عشر اردبًّا او نحو خمسين ضعف التقاوي التي زُرعت فيهِ لانهُ يزرع في الفدان عادة نحو ربع اردب وقد بلغ محصول بعض الافدنة ١٥ اردبًّا اي زاد محصولها على التقاوي ستين ضعفًا . فاخبرنا احد الذين سمعوا ذلك انهُ وجد بالاختبار ان فدان الارض حوالي الحولة في بلاد الشام يغل مئة ضعف فاذا زرعت اردبًّا من التقاوي بلغت غلتهُ مئة اردب عدا ما تأكلهُ منهُ السابلة وما يؤكل اخضر وانهُ يكون في العود الواحد ثلاث سنابل (اكواز) او اربع او اكثر وذلك ليس نادرًا اي ان محصول الفدان المصري يبلغ ٢٥ اردبًّا . والظاهر ان سبب هذا الخصب الكثير ان التراب في بلاد الشام كثير المواد الآلية وكذلك ماء الانهار والسوافي . وليس في الارض املاح تضرُّ النبات على الاطلاق وهي لتحدُّرها تستغني عن المصارف فتبقى جافَّة خالية من العفونة ولا تحتاج لاتساع الزراعة فيها الاَّ تأمين الناس على مزروعاتهم وممتلكاتهم واخذ الاموال الاميريَّة منهم بالعدل والتؤدة وعمل الاعمال اللازمة لاتساع نطاق الري الصيفي

تعاقب المزروعات

مهما اطنبنا في وصف الزراعة والحث على اتقانها لا نوفيها حقها لانها اكبر مورد من موارد الرزق بل هي في هذا القطر المورد الوحيد لهُ . ولها اركان كثيرة كالحرث والري والسماد

ومن أكبر اركانها تعاقب المزروعات لانهُ اذا تكررت الزراعة الواحدة على ارض واحدة سنة بعد سنة ضعفت تلك الارض ولم تعد تلك الزراعة تجود فيها كأَنها تفقرها في بعض المواد التي تغتذي منها او تفرز فيها مواد تضرها او يحدث فيها الامران كلاهما فلا تعود تلك الزراعة تجود فيها الاَّ اذا تُركت بغير زراعة او زرعت زراعة اخرى مدة سنة اوسنتين او سُمدت بسماد كثير الغذاء

وقد انتبه الناس الى فائدة تعاقب المزروعات من عهد قديم جدًّا فقد ذكر زنوفون القائد والمؤَرخ اليوناني الذي نشأ بين سنة ٤٣٠ و ٣٥٤ قبل المسيح ان الارض كانت تزرع سنة قمحاً وتبوَّر سنة بعدها ثم تزرع قمحاً وهكذا حتى يجود القمح فيها · والظاهر ان الروم كانوا يفعلون مثل ذلك فقد جاء في كتاب الفلاحة الرومية الذي تُرجمهُ الى العربيَّة سرجس بن هليا الرومي نقلاً عن ديمقراطس انهُ كان لهُ ثلاث بقع طيبات فكان يزرع كل واحدة منهنَّ عاماً ويتركها عامين . ثم اهتدى الناس الى المعاقبة بين المزروعات فقد ذكر الكتَّاب الرومانيون ان الناس في عهدهم كانوا يعاقبون بين القمح والقطاني فيزرعون الارض سنة قطاني كالفول وسنة قمحاً · ولم يكن يعلم سبب ذلك اما الآن فثبت ان زرع القطاني يفيد الارض لانها تستمد النيتروجين من الهواء وتذخرهُ في جذورها التي تبقى في الارض

ولا يخفى ان انواع المزروعات التي يجب المبادلة بينها تختلف باختلاف البلاد والاقاليم والارض ونفقات الزراعة والمراد منها · فالقاعدة التي توضع لفرنسا لا يصح وضعها للقطر المصري والتي تصح للوجه البحري من هذا القطر لا تصح للوجه القبلي بل التي تصح في المديرية الواحدة قد لا تصح في المديرية الاخرى او التي تصح في هذه الارض قد لا تصح في ارض تجاورها لانهُ ينظر في الزراعة الى امور كثيرة كالاقليم ونوع التربة وسهولة الري ورواج المحصول وكثرة الانفار وما اشبه . وقد وضع بعضهم ترتيباً جرى عليهِ في بعض اطيان الغربيَّة وهو هذا لنفرض ان فلاَّحاً استأْجر ثلاثة افدنة واراد ان يزرعها من باب الثلث فتقسم هكذا

	الفدان الاول	الفدان الثاني	الفدان الثالث
السنة الاولى	برسيم وبعدهُ قطن	قمح وبعدهُ برسيم	برسيم وبعدهُ ذرة
السنة الثانية	برسيم وبعدهُ ذرة	برسيم وبعدهُ قطن	قمح وبعدهُ برسيم
السنة الثالثة	قمح وبعدهُ برسيم	برسيم وبعدهُ ذرة	برسيم وبعدهُ قطن

اي ان المزروعات تتعاقب هكذا قطن ذرة قمح قطن ذرة قمح الخ ويفصل البرسيم بينها كلها

ومعلوم ان هذا الترتيب لا يصلح في اراضي الصعيد التي لا تزرع زراعة صيفيَّة ولا في الاراضي المالحة التي يراد زرع الرز فيها مرةً كل سنتين او ثلاث

وقد اهتمَّ علماء الزراعة في اوربا بالبحث عن المزروعات المختلفة وما تستمدُّهُ من الارض وما تبقيهِ فيها ليضعوا لتعاقب المزروعات قاعدة علميَّة غير قاعدة الاختبار فوجدوا اموراً كثيرة نذكر بعضها في ما يلي

(١) ان البرسيم وما اشبه من المزروعات تزيد المواد المغذية في الارض وجذورها الطويلة واوراقها التي تبلى في الارض اذا قلبت وهي فيها تجعل في الارض مداخل يتخللها الهواء ويساعد على نمو الميكروبات المفيدة للزراعة فيها وعلى حفظ الرطوبة اللازمة حول الجذور

(٢) زرعت ارض قطاني خمسين سنة متوالية ثم زرعت قمحاً خمس سنوات متوالية فكان متوسط محصول الفدان منها ٢٥ بشلاً (نحو خمسة ارادب) اما الارض التي كانت تزرع سنة وتبوَّر سنة مدة خمسين سنة فبلغ محصول الفدان منها بعد خمسين سنة نحو اردب ونصف لا غير والارضان من نوع واحد

(٣) ان بعض المزروعات تساعد على ظهور الحشرات وكثرتها فيجب الانتباه لذلك والعدول عن زرعها استئصالاً للحشرات اما في القطر المصري فالاعتماد في مقاومة الحشرات على الاحداث الجوية · ظهر الدود في البرسيم في شهر اكتوبر الماضي وما توسط نوفمبر حتى كاد يتلفهُ كلهُ واضطرَّ اصحاب المواشي ان يفتشوا عن علف آخر لها والَّا ماتت جوعاً فبلغ ثمن حمل التبن مئة واربعين غرشاً وهو لا يباع عادة في مثل هذا الوقت باكثر من ستين او سبعين غرشاً . ثم اشتدَّ البرد بغتة في اواسط نوفمبر فامات الدود كلهُ وعاد البرسيم الى النمو . ولو اجتمعت قوات القطر المصري كلها لعجزت على اهلاك الدود فاهلكهُ البرد في يومين او ثلاثة

(٤) ان مقدار الماء اللازم لري المزروعات يختلف باختلافها فيجب ان تتعاقب على صورة يصير بها الماء الذي يمكن الحصول عليهِ كافياً لها

(٥) ظهر من التجارب في رثأمستد ببلاد الانكليز ان متوسط محصول الفدان من القمح في ارض زُرع القمح فيها ستين سنة متوالية من غير سماد نحو اردبين ونصف اردب ومتوسطهُ في ارض مثلها مع التعاقب خمسة ارادب . وزرع القمح والشعير والبرسيم والفول والجذور في ارض بالتعاقب من غير سماد مدة ٣٩ سنة اي زرع القمح فيها ١٣ سنة والشعير ١٣ سنة وبقية المزروعات ١٣ سنة بالتعاقب فكان ثمن محصول القمح ٥٠٢٥ غرشاً وثمن محصول الشعير ٣٣٣٠ غرشاً وثمن محصول البرسيم والفول والجذور ٣٣٤٠ غرشاً والجملة ١١٦٥٥

غرشاً اي كان المتوسط السنوي ٣٠٠ غرش لكل فدان اما الارض التي بقيت تزرع قمحاً فقط ٣٩ سنة متوالية فبلغ ثمن محصولها السنوي ١٩٢ غرشاً عن كل فدان والتي زرعت شعيرًا فقط بلغ ثمن محصولها السنوي ١٦٧ غرشاً عن كل فدان

ويظهر لنا من مراقبة احوال المزروعات في القطر المصري ان اهمية تعاقب المزروعات متوقفة على مياه الري فاذا كانت الاطيان تروى بمياه النيل الصافية او بمياه الآبار الارتوازية فالري الصيفي المتكرر يتعبها لانهُ يبقي فيها املاحاً كثيرة كانت في الماء وهذا سبب تعبها من تكرار زرع القطن فيها ولكن اذا رويت بمياه السواقي او بمياه مجلبة من طبقات الارض العليا فالري الصيفي لا يبقي فيها املاحاً كثيرة فاننا رأينا اطياناً زرعت قطناً سنوات كثيرة متوالية ولا يزال القطن يجود فيها جودة تفوق الحد حتى يقل لوزهُ لكثرة نموهِ وهي تروى من النيل نفسهِ وقت الفيضان ومن مكان عميق فيهِ تنجلب اليهِ المياه وقت التحاريق كأنها تروى حينئذٍ من ساقية (ناعورة) فاذا ثبت هذا الامر وثبت ان مياه السواقي لا تتعب الارض ولو زرعت قطناً سنة بعد سنة انحل مشكل من اكبر المشاكل وهو كيف توسَّع زراعة القطن في هذا القطر ويبقى ماء الري كافياً لهُ وتبقى الاطيان على جودتها

المزروعات والميكروبات

عود الى النيترو بكتيرين

ابنا في عدد سابق ان الدكتور بوتملي اكتشف الميكروب الذي يساعد نباتات الفصيلة القرنية كالفول والحمص والبرسيم على اخذ النيتروجين من الهواء وتغذيتها بهِ وقد اكتشف هذا الاستاذ الآن ميكروبات اخرى تساعد القمح والشعير وغيرهما من المزروعات وتزيد خصبها. وقابلهُ المستر ستد صاحب مجلة المجلاَّت الانكليزية وحادثهُ في هذا الموضوع ونشر خلاصة حديثهِ معهُ في مجلتهِ فرأينا ان نترجمهُ عنها لما فيهِ من الفائدة الكبيرة لكل المشتغلين بالزراعة

المستر ستد — انستطيع ايها الاستاذ ان تذكر لي في جملة واحدة نتيجة امتحانات هذه السنة

الاستاذ بتملي — كلاَّ لانهُ لم يصل اليَّ حتى الآن عشر نتائج هذه الامتحانات

— ولكن ماذا ثبت لك مما وصل اليك حتى الآن منها

— ثبت لي اولاً انهُ اذا كانت الارض مفتقرة الى المواد المغذية وهي مع ذلك صالحة لنمو المزروعات التي من فصيلة القطاني فالنيترو بكتيرين يفعل فيها العجائب فيزيد محصولها

ويبقى فيها غذاء جديدًا للموسم التالي . واذا لم تظهر فائدة من استعمال النيترو بكتيرين فيكون ذلك اما لأن الارض غير محتاجة اليهِ لشدَّة خصبها او لانهُ لم يستعمل حسب التعليمات المرسلة معهُ ولكن اذا كانت الارض قليلة الخصب واستعمل النيترو بكتيرين حسب التعليمات المعطاة فالفائدة منهُ كبيرة جدًّا

— ما هي افضل الطرق لاستعمالهِ

— تطعيم البذار بهِ اولاً ثم رشهُ على الزرع حالما ينبت . وقد يكفي تطعيم البذار بهِ من غير رشهِ على الزرع ولكن الرش مع التطعيم يحققان النجاح

— هل اكتشفت شيئًا جديدًا بعد ما اكتشفتهُ في العام الماضي

— نعم اكتشفت اكتشافًا اهم من الاكتشاف السابق . فقد تتذكر اني قلت ان الميكروب الذي اكتشفتهُ اولاً لا ينفع كل المزروعات ولكنهُ ينفع القطاني فقط . ثم اكتشفت ميكروبات اخرى ووزعتها للامتحان فاخذ واحد الميكروب الذي يجود بهِ البصل وقسم قطعة من الارض قسمين متساويين وزرعهما بصلاً وعالج بصل القطعة الواحدة بهذا الميكروب ولم يعالج بصل القطعة الثانية فوجد ان محصول القطعة التي عالجها بالميكروب زاد ٣٩ في المئة على محصول القطعة التي لم يعالجها وبصل الاولى اكبر واجود . وعالج آخر الفرولا (الستروبري) بميكروب اكتشفتهُ لهُ فاعطى موسمين والذي لم يعالج اعطى موسمًا واحدًا وهو مزروع الى جانبهِ . وعالج آخر بعض الازهار بميكروب اكتشفتهُ لها فبكَّر زهرها وطالت مدة ازهارها

— هذا اكتشاف بديع جدًّا ولكن الم تجد ميكروبات تفيد الحبوب كالقمح والشعير

— ان الذين جربوا الميكروب الاول في زراعة الحبوب يؤكدون انهُ يفيدها اكثر مما يفيد القطاني ولكنَّ فعلهُ بها يختلف عن فعلهِ بالقطاني فانهُ في القطاني يولّد في جذورها الثآليل التي تتجمع فيها المواد النيتروجينيَّة من الهواء اما في القطاني فيولّد مادة غروية حول جذورها اكثرها من الاميد

— ما هو هذا الاميد

— اننا لا نعلم كيف يستحيل النيتروجين الى ازهار واثمار وبزور ولكننا نعلم انهُ لا بدَّ لهذه من النيتروجين وهي لا تستطيع ان تمتصهُ نقيًّا كما هو في الهواء ولا بدَّ لهُ من ان يستحيل اولاً الى نيترات (اي ملح مركب من النيتروجين والاكسجين ومادة اخرى كالصودا او البوتاسا) والنيترات يستحيل الى اميد والاميد الى بروتيد والبروتيد الى بروتوبلازم .

والفائدة من وضع ميكروباتنا في الارض انها تأْخذ النيتروجين من الهواءِ وتحولهُ الى اميد دفعةً واحدةً من غير حاجة الى استعمال النيترات فهو يغني عن السماد الطبيعي والكيماوي ويحول نيتروجين الهواء الى اميد رأساً فكأَنهُ يختصر طريق التغذية

— وهل يفيد الاميد في الحبوب كما تفيد الثآليل في القطاني

— يظهر من التجارب في الشعير انهُ يفيد جدًّا فقد بلغ الشعير باكرًا وجاء كثير الحب والتبن واجود من الشعير الذي لم يستعمل لهُ هذا الميكروب

— هل ميكروب القطاني مثل ميكروب الحبوب

— كلاَّ ولكنهما يستعملان على اسلوب واحد

انتهى حديث المستر ستد . وخلاصتهُ ان الاستاذ بتملي اكتشف ميكروبات كثيرة تغني الاراضي الزراعية عن السماد وتفيد المزروعات فائدة كبيرة وهذه الميكروبات تباع الآن في بلاد الانكليز وترسل معها تعليمات لكيفيَّة استعمالها

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(٣) زراعة الارز

إنما يزرع الارز في شمالي الوجه البحري بين البحيرات التي في اقصاهُ شمالاً وبين خط يقطع الدلتا من الرحمانيَّة على فرع النيل الغربي الى المنصورة على فرعهِ الشرقي

وتسهل في تلك الجهات زراعة الارز التي تستلزم ماءً كثيرًا لعدم انخفاض النيل هناك اكثر من متر او متر ونصف في زمن التحاريق

وتروى الارض بواسطة السواقي فيستخدمون ثلاث سواقٍ لكل عشرة افدنة . الا في رشيد حيث الارض كثيرة الانخفاض فيكفي لري العشرة افدنة ساقية واحدة يديرها ثور او ثوران تبعاً لكبرها وصغرها . ويقتضى لتشغيل الساقية الصغيرة اربعة ثيران ولتشغيل الكبيرة ستة ثيران تتبادل عليها يوميًّا . ويستخدم لكل ساقية نفران يتعاقبان على ادارتها والاعتناء ببهائمها

يبتدئ زرع الارز في اوائل شهر ابريل . وتوطئةً لذلك يملأُون قففاً من "التقاوي" ينقعونها في الماء خمسة ايام او ستة حتى تتشرب الحبوب منهُ جيدًا فيفرشونها على حصر ويكومونها كوماً صغيرةً يغطونها "بالقش" الى ان تحمى فيبذرونها في الارض وهي بعد

في حالة وحلية . ويهيئون الارض للزرع بان يبقوها مغمورة بالماء عدة ايام وبعد ذلك يحرثونها ثلاث دفعات ثم يعيدون ريها ويمهّدون سطحها بجذع من النخل يجرهُ ثوران عرضاً . ثم يسوُّونها بالمحفة وهي بعد في قوام الوحل ويزرعون اردبًا من " التقاوي " في كل فدان مساحتهُ ٤٠٠ قصبة وذلك مضاعف ما يزرع قمحاً

وبعد القاء البذار بثمانٍ واربعين ساعة يروون الارض الى علوّ نحو خمسة سنتيمترات ويتركون الماء عليها يومين او ثلاثة ثم يصرفونهُ ويعيدون سقيها . بنفس هذه الطريقة التي يكررونها حتى وقت الجني

وفي اواخر شهر يوليو يقتلعون نحو نصف هذه المزروعات ويغرسونهُ في اراضٍ سبق زرعها قمحاً في غير ذلك الفصل . ولهذا السبب يزرعون ضعفين من التقاوي كما ذكرنا

وفي غالب الجهات تكون الاراضي التي ينقلون اليها نبات الارزّ قريبةً . غير ان نبات الارزّ الذي يزرع في المنزلة يؤتى بهِ اعتياديًا من فارسكور بقوارب تسير في البحيرة

واجرة غرس الفدان نحو خمسة فرنكات . واجرة القلع والنقل والغرس جميعاً في نواحي رشيد ١٦ فرنكاً لكل فدان

ويستغلون الارزّ في اواسط نوفمبر اي بعد زرعهِ بسبعة اشهر . فيُسقى في اثناء الثلاثة اشهر الاولى بالآلات وبعد ذلك يروى بماء الفيضان

وطريقة حصدهِ ودرسهِ وتذريتهِ لا تختلف عما ذكرناهُ في الكلام عن زراعة الحنطة

ويلزم لدرس محصول الفدان بالنورج عمل ثمانية فَعَلة واربعة ثيران اربعاً وعشرين ساعة واجرة الفاعل $\frac{١}{٣٢}$ من الاردب ارزاً . ويجني بذار الفدان في جهات دمياط والمنصورة والمنزلة نحو ثمانية عشر ضعفاً . وفي رشيد وسائر انحاء الدلتا نحو ستة عشر ضعفاً

ومما يستحق الذكر ان جني الارزّ قد ينحط الى ستة اضعاف فقط في زمن المحل ويبلغ نحو ٣٢ ضعفاً في سنيّ الإقبال

اما " قشّ " الارزّ فيستعمل وقوداً لان شدّة صلابتهِ تحول دون درسهِ ناعماً فلا يصلح علفاً

ويشتري تجار دمياط ورشيد محصول الارزّ من البيادر وهم يقومون بتنظيفهِ وقشرهِ وقصرهِ بآلات معدة لذلك

ومتوسط ثمن اردب الارزّ سبعون فرنكاً غير انهُ يختلف كثيرًا تبعاً للرواج والكساد . ففي مدة احتلال الجيش الفرنساوي للقطر المصري هبط سعر الاردب في رشيد الى ٣٨ فرنكاً

زراعة الفلفل

انشأ المستر برون سكرتير جمعية الزراعة التجارية مقالة في زراعة الفلفل (الفليفلة) قال فيها ان اصل الفلفل من اميركا الجنوبيَّة ولكنهُ يزرع الآن في كل المنطقة الحارَّة . واهالي اوربا يجلبون الفلفل الحار من افريقية والهند واليابان ويضعونهُ مع المخللات وقد تبلغ غلة الفدان في جزائر الهند الغربيَّة ١٩٠٠ اقة من قرون الفلفل اليابس ويبلغ ثمن الاقة غرشين الى ثلاثة غروش ونصف . والذي يزرع منهُ في مصر يسمَّى شطَّة وهو ثلاثة اشكال شكل اصفر وشكلان احمران وزراعتهُ في القطر المصري قليلة جدًّا ويمكن ان تتسع لانهُ يجود فيهِ كثيرًا ولكن الطلب عليهِ قليل محدود فلا ينتظر ان تتسع زراعتهُ كثيرًا . ويباع مسحوق الفلفل الاحمر ليستعمل في الطعام ولكنهُ قلما يكون نقيًّا فلو جففت الشطة وسحقت واضيف الى كل اربع اواقي منها اوقية من الملح الجاف المسخَّن في الفرن لكان من ذلك مسحوق جيد خالٍ من الغش

والفلفل البلدي الذي تصنع منهُ المخللات يباع القنطار منهُ بخمسة عشر غرشًا الى ثلاثين ويبلغ محصول الفدان منهُ نحو اربعين جنيهًا او اكثر . والفلفل الحلو نوع منهُ يؤكل اخضر في الغالب وتباع المئة منهُ بغرشين ونصف الى اربعة غروش

وزراعة الفلفل سهلة جدًّا يبذر بزرهُ في شهر مارس او قبل ذلك اذا كانت الارض موقية من البرد ولا بدَّ من ان تكون قد حرثت جيدًا ونعّم ترابها ثم تنقل النباتات من هذه الترقيدة وتزرع في الارض المعدَّة لها في شهر مايو . واذا كانت الارض خصبة فلا داعي لتسميدها واما اذا كانت ضعيفة فلا بد لها من السماد حين حرثها قبل زرع النبات فيها ويجعل البعد بين كل تلم والذي يليهِ ٩٠ سنتيمترًا اي يجعل في القصبة اربعة خطوط تخطط اولاً بالمحراث ثم تكمل بالفاس وتروى اولاً ثم يزرع النبات فيها باليد اي بالابهام والاصبع التي تليهِ . ويحسن ان تقلع الشجيرات من الترقيدة ومعها شيءٌ من التراب عالق بجذورها وتزرع كذلك ويكون الزرع على جانب واحد من جانبي الخط . والبعد بين كل شجيرة والتي تليها نصف متر ثم تروى الخطوط بعد الغرس وتنزع الحشائش منها من وقت الى آخر وتعزق ما دام النبات صغيرًا ومتى كبرت الشجيرات قليلاً تسمَّد بالسباخ البلدي اذا لم تسمد وقت غرسها وتقلب الارض من جانب الخط المقابل حتى تغطي جذورها وبعد نحو ٦٥ يومًا من يوم الغرس يجنى الفلفل ويستمر جناهُ الى آخر نوفمبر وقد يكثر الحمل حتى يكسر

الاغصان فيجب ان تسند بعيدان من الخشب

وقد يترك الفلفل البلدي في الارض ثلاث سنوات او اربع سنوات ولكن زرع الفلفل جديدًا كل سنة اربح وكذلك الفلفل الحلو قد يترك سنتين في الارض ويسمَّى عقرًا ولكن يصغر ثمرهُ في السنة الثانية غير انهُ يثمر قبل العروس (اي الجديد) فيباع حينما يكون الثمن غاليًا ولا بدَّ من انتقاء احسن القرون لاجل التقاوي وتترك على الشجرة حتى تنضج جيدًا

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء وتمريض المرضى

فُتح في الشهر الماضي مكانان في هذه العاصمة لتعليم النساء او البنات تمريض المرضى والغاية منهما من افضل الغايات لان التمريض لا يقل فائدة عن التطبيب او هو يفوقهُ من بعض الوجوه

ولتعليم البنات صناعة التمريض شأن كبير في اوربا واميركا من وجه معاشي لان البنات يتعاطين الاعمال لتحصيل معاشهنَّ. وهو في اعتقادنا خطأٌ جرى عليهِ الاوربيون والاميركيون ولا بدَّ من عدولهم عنهُ وقتًا ما ومع ذلك فتعليم صناعة التمريض للبنات من الامور اللازمة لتدبير المنزل ولو لم يكن لازمًا لتحصيل المعيشة. فان المرأة خلقت لتكون زوجةً ووالدة ومربية لاولادها ومدبرة لبيتها وذلك افضل لصحتها وراحتها ورفاهتها من تعاطيها اي عمل آخر غيرهُ. وتربيتها لاولادها وتدبيرها لبيتها يستلزمان ان تعرف كيف تمرّض زوجها واولادها اذا مرضوا وهي اكبر مساعد للطبيب في ذلك فيجب ان تتعلم صناعة التمريض كما تتعلم الطبخ والخياطة بل كما تتعلم القراءة والكتابة وقد كانت النساء ممرّضات وقوابل قبلما شاع تعليمهنَّ القراءة والكتابة. ولا ينتظر ان تبرع كل امرأة في صناعة التمريض كما لا ينتظر

ان يبرع كل رجل في اي عمل كان ولكن النساء المستعدات بالفطرة يبرعن في التمريض ويساعدن جيرانهنَّ

اذا اتضح ذلك فيكون من المفيد لكل بلاد ان يكون فيها مدارس متصلة بالمستشفيات لتعليم فن التمريض يرسل اليها بنات المدارس ليسمعنَ فيها الخطب في فن التمريض ويشاهدن تطبيقهُ على العمل في تمريض المرضى. فالمائلات منهنَّ الى هذا الفن يرغبنَ فيهِ ويتقنهُ وغير المائلات اليهِ يتعلمنَ منهُ ما يفيدهن في بيوتهنَّ. ولا داعي لان ينقطع كثيرات من البنات للتمريض كصناعة لاجل المعيشة سواء ملنَ اليهِ او لم يملنَ ويكفيهنَ ان يتعلمن مبادئهُ ويتمرنَّ عليهِ كما يتعلمنَ مبادئ العلوم والفنون حتى يستطعنَ ان يمارسنهُ مع اعمالهنَّ المنزلية اذا مست الحاجة الى ذلك

الهواء النقي من غير رطوبة

اذا كنت ساكنًا في مكان رطب الهواء واردت ان يدخل غرفتك هواء نقي من غير رطوبة فافتح الشباك وضع فيهِ بروازًا يملأُهُ كلهُ وشدَّ عليهِ قطعةً من الفلانلا فيدخل الهواء من ثقوب الفلانلا وقد تنقَّى من الرطوبة التي فيهِ

تليين الكفوف

اذا رأيت كفوف الجلد جافَّة صلبة فبلَّ منشفة بقليل من الماء وضع الكفوف بين طيَّاتها واتركها فيها ساعة من الزمان فتترطَّب قليلاً وتلين ويسهل لبسها من غير ان تتمزَّق

دواء بسيط للارق

يقال ان شراب البصل يزيل الارق ويمكن عملهُ في البيت هكذا : — ضع بصلة كبيرة في قدر من الخزف وغطها بالسكر وضعها في فرن اربع ساعات او خمس ساعات واعصرها فيخرج منها شراب اذا شربت منهُ معلقة حينما تقلق ليلاً فالغالب انهُ يزيل قلقك

فوائد منزلية

اغسل وجهك جيدًا قبلما تنام ويحسن ان تغسلهُ بماء فاتر أُضيف اليهِ نقط قليلة من صبغة البنزوين

لتكن غرف النوم اوسع غرف البيت واكثرها انطلاقاً للهواء وتعرُّضاً للنور . ويجب ان يبقى شباك من شبابيك غرفة النوم مفتوحاً قليلاً من اعلاهُ واسفلهِ لتجديد الهواء ولو في اشد ايام البرد

ساعة نوم قبل نصف الليل خير من ثلاث ساعات بعدهُ . وخير الاوقات للنوم من الساعة العاشرة مساءً الى السادسة صباحاً . وما من امرأة تستطيع ان تحفظ جمال منظرها من غير ان تنام باكرًا وتنام نوماً كافياً كل ليلة

اذا مالت اليدان للقشب والتشقق فاغسلها بعصير الليمون الحامض يومياً ونشفهما جيداً

اذا تعبت عيناك فاغسلهما بالماء والملح واذا تعبت رجلاك فاغسلها بماء فاتر فيهِ كثير من الملح

اذا فركت لثة اسنانك بقطعة من الليمون الحامض امتنع تكون الطرطير على الاسنان وزال ما كان متكوّناً منهُ

الرياضة الكثيرة في الهواء النقي وشرب الكثير من الماء النقي يزيدان بشاشة الوجه ويزيلان ما يبدو عليهِ من امارات الكدر

الغذاء في البيض

في البيض كل مواد الغذاء اللازمة للحيوان وليس فيهِ شيءٌ من المواد الضارَّة اذا كان جديداً ولكن اذا عتق تتولَّد فيهِ مواد سامَّة ولذلك لا يجوز اطعام البيض للمرضى والناقهين الاَّ اذا كان جديداً واذا كان وزن البيضة ١٢ درهماً فثمانية دراهم منها بياض واربعة صفار . وستة اسباع البياض ماء والسبع الباقي زلال . ونصف الصفار ماءٌ وثلثهُ دهن وسدسهُ زلال . وفي البيض كبريت وصوديوم وحديد وكلس وفصفور . وبعض الناس لا يستطيعون اكل البيض مطلقاً اما لانهم يكرهون طعمهُ او لانهُ يضرهم ولكن الاكثرين يستطيبونهُ وفي البيضتين من الغذاء ما يكفي لطعام الصباح او الظهر اذا اكلتا مع الخبز وقليل من الملح

اوقات الطعام

لما كان اليونان والرومان في اوج مجدهم كانوا يأكلون مرة واحدة في اليوم اي في العشاء وظل ذلك شأنهم وشأن كل الامم المتمدنة القاطنة على سواحل بحر الروم قروناً كثيرة ولم يكونوا يأكلون شيئاً في وسط النهار واما في الصباح فكان الواحد منهم يأكل تينة او

قليلاً من حبوب العنب او كسرة خبز اما العشاء فكان مثل وليمة لاهل البيت جزاء تعب النهار وكثيرًا ما كان يصحب بالغناء · وبمثل ذلك اشار الحكيم العربي حيث قال

اجعل طعامك كل يوم مرةً واحذر طعامًا قبل هضم طعام

والذين يشتغلون اشغالاً عقلية ولا يعملون اعمالاً تتعب ابدانهم كثيرًا لا يجدون اقل مشقة من الاكتفاء بالاكل مرة واحدة في اليوم ولو اعتادوا الاكل مرتين او ثلاثًا بل قد يجدون اكبر راحة يوم يضطرون الى الانقطاع من الطعام بسبب من الاسباب اما الذين يعملون اعمالاً شاقة فالاكل مرة واحدة لا يكفيهم غالبًا ولا بد لهم من الاكل مرتين او ثلاثًا في اليوم

والعادة التي كانت متبعة عندنا ولا تزال متبعة في اكثر البلدان الاوربية هي جعل الاكل مرتين في النهار الظهر والمساء اما في الصباح فيكتفى بفنجان من القهوة او كسرة من الخبز والجبن · وأكل الظهر خفيف وهو من الخبز وقليل من الادام والاعتماد كلهُ على العشاء بعد الانتهاء من عمل النهار · والذين يجرون هذا المجرى يتطرفون احيانًا في فطور الصباح فيزيدونهُ كمية والوانًا حتى يصير كطعام الظهر او اكثر

ويأتي بعد هؤلاء الانكليز والالمان ومن جرى مجراهم وهم يأكلون اربع مرات في النهار في الصباح والظهر والعصر والمساء . ويظهر بالاستقراء انهُ لا يحسن ادخال طعام على طعام مالم يهضم الطعام الاول جيدًا . والمدة الكافية لهضمهِ تختلف حسب نوعهِ وصحة الآكل وعاداتهِ والغالب ان الطعام السائل يهضم في وقت قصير جدًّا والجامد يقتضي خمس ساعات الى سبع فاذا كان عمل الانسان بدنيًّا فلا بد لهُ من الطعام الكافي في الصباح وفي الظهر ايضًا عدا العشاء واذا كان شغلهُ عقليًّا فيكفي ان يأكل في الصباح طعامًا خفيفًا كاللبن والزبدة مع الخبز وفي الظهر طعامًا أخف منهُ كاللبن والمرق ويبقي الطعام الثقيل الكافي الى العشاء اما أكل الطعام الغليظ الظهر فيلبك المعدة ويمنع الانسان من الاشغال العقلية · ولو اعتاد الذين يشتغلون الاشغال العقلية ان لا يأكلوا الأ في المساء لكان ذلك اصلح لهم

والغالب ان المترفهين والاغنياء يأكلون اكثر مما تحتاج اليهِ ابدانهم فينالون جزاء شرههم التخمة وضعف الهضم وما يتبعهما من ضعف الصحة وضيق الخلق والتعرُّض للامراض الكثيرة

باب التقريظ والانتقاد

المباحث

لم يكد القلم يفك من عقالهِ في بلاد الشام حتى اعلن صديقانا العاملان والكاتبان المشهوران جرجي افندي وصموئيل افندي يني عزمهما على انشاء مجلة باسم " المباحث " تكون علمية ادبيَّة سياسيَّة فكاهيَّة تصدر مرتين في الشهر. وقد اصدرا العدد الاول منها في منتصف نوفمبر حافلاً بالمقالات العلميَّة والادبية ففيهِ بعد الديباجة مقالة في تاريخ الشورى قالا فيها " ان اليونان في اثينا كانوا يعقدون مجلساً عامًّا ينتخبون فيهِ رجال الندوة العليا ويعينون الحكام وكان هذا المجلس يؤَلف من جميع مراتب الاهلين واما في سبارتا فان الندوة العليا كانت تؤَلف من ثلاثين رجلاً منهم رجلان يتوليان الملك معاً. على ان انتخاب اعضاء هذه الندوة كان يتم بما يشعر بهِ المنتخبون من ميل الناس لهذا المرشح او ذاك فكأَن الانتخاب عام بين القوم. الاَّ ان ثمت مواضع ضعف في هذه السنة القديمة ليس هذا مجال بيانها ولسنا من القائلين بان تلك المجالس كانت في شيء من الشؤُون الحقة ولا هي مؤيدة لحقوق اصحابها تأْييدًا تماثلهُ سنن العصر او تدعو اليهِ حاجة الحضارة. اما الرومان فان في نظامهم القديم لمحًا الى الحكومة الشوروية فان الامة عند بدء امرها كانت مؤَلفة من ثلاثة قبائل هي الرومانية والسابية والالبيَّة وكل واحدة منها تقسم الى عشرة بطون كان يقال لها عندهم Curia ويقسم كل بطن الى عشرة افخاذ فمجموع الاقسام ثلثمئة فكان يجتمع من كل فخذ رئيسهُ فيتأَلف من الاجتماع دار الندوة الاعلى (السناتو) على ان هذه الندوة لم يكن في بادئ الامر من خصائصها ان تسن القوانين وانما كان شأْنها ان تشور على الملك بما تراهُ حسنًا. وكان الملك زعيم الامة وقائد جيشها واكبر قضاتها وحبرها الاعظم ان شاء ارتضى برأْي الندوة وان شاء ضرب بهِ عرض الحائط. اما سن القوانين والنظر في الشؤُون العامة فكان من خصائص المجلس العمومي الذي كانوا يسمونهُ Comitia curiata وهو يؤَلف من رؤَساء بطون الامة وبرأْيهِ ايضًا يشهر الحرب ويعقد الصلح واليهِ ترجع سلطة الملك ومتى توفي فيصادق على اختيار الخلف. وهذا النظام كان جاريًا منذ تأْسيس الدولة

الرومانية حتى مرَّت عليها نحو مئتي سنة او تزيد على ان السنن لا تُظهر في الامم فجأةً وانما تنمو في افكارهم وعوائدهم نموًّا يسهل للمشترعين سبيل اظهارها "

واستطردا البحث عن تاريخ الشورى على هذا النمط عند العرب والدول الاوربيَّة

وموضوع المقالة الثانية الفلسفة العربيَّة · وفيها " ان النساطرة واليعاقبة والسريان هم الذين حفظوا الفلسفة اليونانية من الضياع بعد ان قضت الحوادث عليها بالزوال والامحاء من ارض الهيلانيين ومن الاسكندرية وهم ايضاً الذين سلموها للاسلام عقيب تدويخهِ البلاد وافتتاحها واخذهِ باسباب الحضارة والعمران "

وتليهما مقالات مختلفة في السكة الحجازيَّة والاستعداد للحرب وتأثير الحرف في اليد والتجارة السورية في القرون الوسطى وخلاصة سياسيَّة وفصل من رواية اسمها فتاة الجزائر يراد استطرادها في الاعداد التالية · وما اقتبسناهُ من مقالات هذا الجزء وما قرأَهُ قرَّاء المقتطف من المقالات الكثيرة التي نشرت فيهِ من قلم هذين الكاتبين الفاضلين ممضاة باسميهما او بحروف مقتطفة من اسميهما كل ذلك يحقق لنا ان " المباحث " ستكون في مقدمة المجلات العربيَّة في مواضيعها وطريقة البحث فيها · نفع الله بها الوطن وجزى احرارنا خير الجزاء لانهم اطلقوا حريَّة الاقلام

رأس الحكمة مخافة الله

كتاب ادبي انشأَهُ حضرة الفاضل الايغومانس ابرهيم عطا الله رئيس شريعة الاقباط الارثوذكس ببندر بنها بيَّن فيهِ بفصول متوالية ان مخافة الله مصدر النور واس العدالة ومنجم العبادة ورائد الصدق ومنبع العفو ومدعاة الامانة وسياج العفَّة ومبدأ السماحة وعماد التربية ومبعث الشهرة ومهبط محبة القريب ومظهر الذوق السليم وقاعدة التواضع ومدرجة التوبة · ولقد مضت قرون كثيرة وخدَمة الدين ولاسيما من ابناء الطائفة الارثوذكسيَّة لا يهتمون باتقان العربيَّة والانشاء البليغ فيها ولذلك زاد اعجابنا بهذا الكتاب لما رأيناهُ فيهِ من بلاغة الانشاء مع حسن الاسلوب في بسط الموضوع واقامة ادلتهِ وترتيب مقدماتهِ ونتائجهِ ولا نتذكر اننا قرأنا لاحد من خدمة الدين المحدثين كتاباً افصح منهُ عبارة او احسن اسلوباً فنهنئ مؤَلفهُ الفاضل ونهنئ بهِ الامَّة القبطيَّة الكريمة ونحث القراء على مطالعة كتابهِ · وحبذا لو نقح الطبعة الثانية منهُ فاصلح اغلاطاً وقعت فيهِ من قبيل السهو كقولهِ في الصفحة ٩٩ " تكريه الامة الى رجال الشر والحيف والغواية حتى تتنكب عنهم " والصواب تكريه

رجال الشر والحيف والغواية الى الامة حتى تتنكب عنهم . وكقولهِ في الصفحة ٢٣١ " على افتراض المحال والتسليم جدلاً بما يقال (وهو ان الانسان نشأ بالتسلسل عن ادنى منهُ) فهل يقدح ذلك في وجود الخالق حاشا لله ألا تكون نشأة الانسان بالصورة التي سبق التلميح اليها والتي انما تقضي الى وحدة مبدإِ الحياة في الكون دليلاً اعظم على وحدة الخالق وقدرتهِ الفائقة " . فان كان نشوء الانسان بالتسلسل يقضي الى وحدة مبدإِ الحياة في الكون ولا يقدح في وجود الخالق بل هو دليل اعظم على وحدتهِ وقدرتهِ الفائقة كما قال المؤَلف فلماذا يكون هذا الفرض محالاً ولماذا لا يكون معقولاً . وما أحسن ما قالهُ احد اساقفة الكنيسة الانجيلية وهو " ان كان الصانع الذي يصنع ساعة عظيماً فالصانع الذي يصنع ساعةً تصنع ساعة اعظم منهُ جدًّا " . كلاَّ ان مذهب النشوء لا ينفي وجود الخالق ولا يضعف قدرتهُ بل يؤيد وجودهُ ويعظّم قدرتهُ وهو ليس محالاً لذاتهِ بل معقول واقرب الى العقل من اكثر المذاهب العلمية وبهِ تفسر امور كثيرة لا تفسر بغيرهِ. ولو لم تقم الادلة القاطعة على صحتهِ كما قامت على صحة غيرهِ من الفروض العملية

امراض النساء

تعريب حضرة الدكتور احمد عيسى

لقد كنا نشكو من الاطباء ان اكثر الذين ترجموا منهم كتب الطب انتحلوها ولم يعترفوا بفضل اصحابها وكنا نشكو ايضاً من سقم الترجمة وركاكتها اما هذا الكتاب فقد ذكر مترجمهُ اسم مؤَلفهِ قبل اسمهِ وكتبهُ بالحروف العربيَّة والافرنجية وعرَّفهُ بوظائفهِ والقابهِ وهو الاستاذ پوتسي معلم فن امراض النساء في مدرسة الطب بباريس وذكر ايضاً اسم معاونهِ وقال انهُ ترجمهُ عن الطبعة الرابعة . ويا حبذا لو ذكر تاريخ طبعها ايضاً لان لتاريخ طبع الكتب العلمية شأناً كبيرًا ولاسيما اذا كانت في فنون الطب التي يجدُّ فيها شيءٌ كثير كل عام . ثم ان المترجم توخَّى صحَّة الترجمة وصحَّة العبارة العربيَّة وبحث عن المرادفات لكثير من الكلمات والمصطلحات العلمية ونشرها في جدول في اول الكتاب بالفرنسوية والعربية حتى لا يخفى مرادهُ على قرَّاء كتابهِ . واكثر هذه المرادفات صحيح ولكن بعضها غير صحيح كالصناب لمدوف الخردل بالخل فان الصناب في اللغة صبغ اي ادام من الخردل والزبيب لا من الخردل والخل نعم ان العرب كانت تستعملهُ كما نستعمل مدوف الخردل بالخل ولكن ذاك ليس هذا . وبعضها ليس اصلح مما يراد ابدالهُ بهِ كالصنبور للحنفيَّة فان الحنفيَّة شائعة وقد استعملها كبار

الكتاب ولا موجب للعدول عنها ولو كانت مولَّدة . ولغة الكتاب حسنة تدل على المعاني بصراحة وفيهِ رسوم كثيرة وهي غاية في الاتقان . اما الكتاب من حيث هو فلا يحق لنا ان نبدي فيهِ رأياً لان مؤَلفهُ من اكبر اساتذة الفن الذي أَلف فيهِ . وعسى ان يقبل عليهِ الجراحون من ابناء العربية ولاسيما اذا كانوا يجهلون اللغة الفرنسويَّة . ونسدي مترجمهُ الفاضل جزيل الشكر على خدمتهِ الجليلة

عبرة وذكرى

او الدولة العثمانية قبل الدستور وبعدهُ

ثلاثون سنة من سني الاستبداد والتضييق اخمدت انفاس الامَّة العثمانية فصار " اشد ابنائها محبةً لها واخلاصاً في رفع شأن العثمانيَّة يخاف ان تفلت من صدرهِ زفرة او يباغتهُ تنهُّد فينقل عنهُ خبر تلك الزفرة او ذلك التنهُّد جاسوس عليهِ من المتظاهرين بصداقتهِ او ممَّن هم في خدمتهِ بل ربما نقل عنهُ الخبر احد بنيهِ او امرأتهُ وهناك الطامة الكبرى والبليَّة العظمى " كما قال الاستاذ جبر ضومط في مقالتهِ التي نشرناها في الجزء الماضي . هكذا كان حال البلاد العثمانية قبل اعلان الدستور . ولما رأَينا اننا لا نستطيع ان نقيم على هذا الضيم هاجرنا الى القطر المصري ولجأْنا الى مَن حمانا من اعتداء المابين فيهِ وجاهرنا بانتقاد الحكومة العثمانية صراحةً في المقطم وضمناً في المقتطف فمُنعا من دخول الممالك العثمانية وقام معارفنا في هذا القطر يلوموننا على السلوك في خطة يعود ضررها علينا وعلى اصدقائنا وقد لا تجدي الدولة نفعاً حتى ان مختار باشا الغازي قال لنا مرارًا انكم لا تعرفون من مساوىء الحكومة العثمانية عشر ما اعرفهُ ومع ذلك لا اجاهر بذمها لانني لا ارى فائدة من الذم . ونصح لنا مرارًا ان نعدل عن تلك الخطة فابينا ولما مُنع دخول المقتطف الى الممالك العثمانية وعاتبناه في ذلك قال لنا ان المقتطف مُنع لانكم تصدرون المقطم فقلنا لهُ هب اننا نصنع الصابون والبارود ومنعتم دخول البارود فهل تمنعون دخول الصابون ايضاً . ففكَّر قليلاً ثم قال اصبتم ساكتب الى الاستانة اطلب السماح بدخول المقتطف فكتب واجيب طلبهُ ولكن بقي المقتطف تحت المراقبة حتى اضطررنا ان نرسلهُ بالبوسطة الفرنسوية

وصديقنا العلامة الفاضل سليمان افندي البستاني مندوب بيروت في مجلس المبعوثان يعلم ما يملأُ مجلَّدات كبيرة من اخبار الاستبداد وكان يمنعهُ من اظهارهِ اضطرارهُ الى زيارة بلاد الشام سنة بعد سنة فلما فك قيد الاقلام باعلان الدستور اتحفنا بكتاب عن

احوال الدولة العثمانية قبل الدستور وبعدهُ سماهُ عبرة وذكرى وجعلهُ فصولاً كثيرة مما حواهُ صدرهُ وعلمهُ الواسع من تاريخ الدستور القديم وما يتعلق بالحرية الشخصيَّة وحريَّة الصحافة وحريَّة التعليم وحريَّة التأليف والقراءة والمكاتبة والجمعيات ورجال الدولة الخ ولم يكتفِ بالآراء العلميَّة والفلسفيَّة والاستدلالات العقلية بل بنى اكثر كلامهِ على اختبارهِ اي على ما وقع لهُ وخبرهُ بنفسهِ . ومن امثلة ذلك قولهُ في الصفحة ٢٣

"عرفت شابًا من ابناء التجار قصد الاستانة لعمل مالي وكان كثير التردد عليَّ فما مضت بضعة ايام الاَّ واتاني يومًا ووراءهُ ذنبان . وانني مع كل ما خبرت ووعيت من أخبار الجواسيس عجبت ان يكون صاحبي موضع ريبة فيجر وراءهُ هذين الذيلين . فلما جلس وبقي الرجلان على مقربة من الباب سألتهُ عما بدا منهُ حتى بات موضع التهمة فاقسم انهُ لا يعلم سببًا وانهُ لم يشعر الاَّ وهذان يتعقبانهِ ويرافقانهِ كظلهِ فاذا مشى مشيا واذا دخل بيتًا انتظراهُ لدى الباب واذا ركب عربة او باخرة من بواخر البوسفور ركبا . فظللنا نسعى اشهرًا لنقف على السبب الى ان اخذت الشفقة يومًا ناظر الضابطة فاطلعهُ على ورقة مرفوعة الى المابين من واشٍ يقول فيها ان فلانًا أي صاحبنا أتى الاستانة قصد استطلاع احوالها قبل ان يذهب الى باريس وينشئ جريدة ملؤُها الطعن في الدولة وهو ذو عزوة كبيرة ومقام كبير ولهُ شهرة عظيمة بين كتاب العصر . واني لو نفع القسم وقتئذٍ لاقسمت ان فلانًا هذا لا يعرف ما الكتابة في الجرائد ولم يخطَّ بحياتهِ فيها حرفًا ولا أثر لتلك العزوة وذلك المقام . ولم تخطر لهُ تلك الفعلة ببال ولو في المنام وانما هي مكيدة نصبها لهُ رجل طمع في مشاركتهِ في تجارتهِ فلما أبى ان يشاركهُ معهُ عمد الى هذا الانتقام الدنيء . وهكذا بقي صاحبنا سنوات يتظلم وما من سميع . فلا يفرج عنهُ فيرجع الى بلدهِ ولا يؤْذن لهُ بعمل يرتزق منهُ وأنت تعلم ما تأول اليهِ حالهُ بعد سنوات" . وقولهُ في الصفحة ٤٩

"واننا لا نزال نذكر الصيحة الشديدة التي صاحتها احدى الدول بوجه عمال بريدها سنة ١٨٩٤ ثم طردها اربعة منهم دفعة واحدة ثم إصدار امرها بان لا يستخدم مكانهم احد من العثمانيين وذلك على اثر اكتشافها تواطؤ اولئك العمال مع رجال المابين على دفع رسائل بعض الاحرار اليهم لقاء جعل معلوم عن كل رسالة . وان اردتم مثالاً أجلى فاسألوا ابا الضيا توفيق افندي عما جرى لهُ من مثل ذلك اذ دعي الى المابين في السنة المذكورة وضيق عليهِ واستنطق من أجل مراسلة علمية وادبية محضة جرت بينهُ وبين سيدة فرنسوية من ذوي الاقلام . ولا أزال أذكر عبارة لهُ وقد اشتدَّ بهِ القنوط اذ همس باذني قائلاً : وددت

لو اني مت قبل ان أرى هذا الانحطاط الذي آل اليهِ أمر هذه الدولة فالحرّ مضطر فيها ان يكون قاتلاً او مقتولاً . ولقد اشتدت عليهِ المراقبة من ذلك الحين حتى انتهى امرهُ كفؤاد باشا بالاهانة والنفي “. وقولهُ في الصفحة ٧٣

” قصدت الاستانة سنة ١٨٨٦ وسعيد باشا اذ ذاك صدر اعظم وكامل باشا الصدر الحالي ناظر الاوقاف وكان لاسرتنا سابق اتصال بهِ منذ كان متصرفاً لبيروت فقصدتهُ ثاني يوم وصولي فرحب بي واشار اليَّ بمواصلة التردد عليهِ مدة اقامتي في الاستانة واستبقاني لتناول الطعام على مائدتهِ حتى اذا جلست للغداء سألني عن سبب قدومي الاستانة وعما اذا كان لي حاجة تستوجب اسعافهُ اياي بقضائها قلت نعم منذ سنتين شرع ابن عمي سليم البستاني في نقل دائرة المعارف الى اللغة التركية وألف لذلك لجنة من خيرة كتّاب التركية برئاسة خلقي افندي رئيس المكتب السلطاني فانجزت منها نحو مجلدين وتوفاهُ الله قبل ان يباشر الطبع فرأيت انا واخوتهُ ان نتم العمل ونستأذن نظارة المعارف بالطبع . فقال ارني مثالاً مما كتب فابدي لك رأيي فرجعت في الغد ومعي مثال في زهاء مئة صفحة كنت اعددتهُ لنظارة المعارف فاستبقاهُ عندهُ ريثما تصفحهُ ثم قال لي وهو ملمٌّ بالعربية ليست دائرة المعارف بافصح عبارة واحكم لحمة واجزل فائدة من هذا النقل التركي فلا تتباطأ عن طلب الرخصة ولك مني كل الموازرة . وهذا ابني صبحي بك صديقك من اعضاء مجلس التفتيش والمعاينة يعضدك بكل قواهُ . فقدمت الطلب الى الناظر الذي أُقيم خلفاً لمنيف باشا ايام نكبتهِ سنة ١٨٨٦ وما زلت اتردد ثلاثة اشهر على نظارة المعارف . ولم تغنني معاونة المغفور لهُ صبحي بك بكل قواهُ ولا انضمام بعض رفاقهِ اليهِ كالسلاوي ولا موازرة كبار الكتّاب كسعيد بك منفي اليمن وابي الضيا توفيق بك منفي قونيه الحيين خلا من توفي منهم كجودت باشا وصبحي باشا فان الناظر لبث اذناً صماء . ولما نفدت الوسائل قال لي كامل باشا الآن ذهبت الى الصدر الاعظم فانك بلا ريب تظفر باربك . فكتبت عريضة وذهبت اليهِ فما كان اشد عجبي اذ قال لي حالاً قرأت في الجرائد شيئاً وسرني جداً اقدامكم على هذا العمل الخطير ولو خطر لي انك لقيت هذه المماطلة لاغنيتك من تلقاء نفسي عن هذا العناء فكلنا يطلب المفيد وكلنا في خدمة هذه الامة واحد فاذهب الآن مطمئناً وعد اليَّ بعد ثلاثة ايام وفي اليوم التالي كانت الرخصة بيدي فعدت اليهِ في الاجل المضروب الذي ضربهُ لي ولكن للتشكر وليس للتشكي

غير ان المراقبة التي اخذت تشتد من ذلك الحين واسباباً اخرى حالت دون القيام بالعمل

ولا شك ان جهابذة كتاب الترك وقد انطلقت ايديهم الآن سيبرزون امثالهُ على اتقن منوال

تلك كانت غيرة بعض رجال الدولة على المعارف . ولم يكن دون ذلك تفانيهم في نشر لواء الحرية واصلاح كل مختل في الادارة والقضاء والمالية وكل مواردها

مضت عليَّ ثلاثة اشهر في الاستانة كنت اجتمع اكثر ايامها بسعيد بك منفي اليمن وانا شغف ببلاغة كتابتهِ في اللغة التركية فالتقط من فوائدها ما تسعهُ الذاكرة ومن مزاياهُ انهُ ضليع بالفرنسية والالمانية وواسع الاطلاع بالتاريخ متقد الذهن ذو تجرد غريب وهو مع تحليهِ بتلك الصفات رئيس دائرة في مجلس شورى الدولة فقلت لهُ يوماً وهو يكثر من الشكوى من اختلال الاحكام . لئن كنت انت وامثالك من ذوي العلم والشهرة والنفوذ تجزعون لهذه الحال فما تقول عامة الناس . قال نحن اولى منهم بالرأفة لاننا نرى ولا جرأة لنا على السعي ومن سعى منا جُوزي جزاء الخائنين فالنار تلتهم افئدتنا ولا طاقة لنا على اخمادها . قال ذلك كأنهُ يتنبأُ بما سينالهُ يوماً من البلاء في خدمة الحرية والاصلاح”

ويلي ذلك وصف بديع لانشائهِ جريدة تركية في معرض شيكاغو وايجاس المابين منها شرًّا وخوفهِ من بقاء حروفها التركية في اميركا ومنعهِ اصدار الحروف العربية والتركية من الممالك العثمانية . وهذا الفصل من ادلّ الفصول على سخافة بعض العقول وسمو البعض الآخر

وقال في وصف مذبحة الارمن سنة ١٨٩٦

“شهدتُ تلك الفاجعة الاليمة مشاهدة الرقيب الجازع من اولها الى آخرها ولم اكن هنا لاعيد تلك الذكرى المؤلمة او لاخطئ فيها فريقاً دون فريق فكلاهما اغتر وسيق غير مختار باغراء اولئك الفجار . ولكن الباعث على ذكرها رغبة اثبات الالفة التي كانت تهيج صدور الناقمين على هذا التعصب ومثيريهِ ولم يكونوا بالنزر اليسير . ولكن اعلاهم قدحاً واعظمهم جرأةً كان هذا المنفي الذي قضى سبع سنين سجيناً يقاسي عذاب الموت وهو حي (اي فؤاد باشا)

شهدتهُ وكنت جارهُ في فنار باغجه يطوف مدججاً بسلاحهِ ينهى عن سفك الدماء . يحيي الليل بين هاتيك الاحياء واعظاً منذرًا متلطفاً متهددًا على ما تقتضيهِ الحال . يسأل من انس منهُ خوفاً ان يحل ضيفاً كريماً عليهِ . يؤمن الخائف ويرعب الخائن . فحجب الدماء في كل ذلك الجوار فلم تهرق فيهِ نقطة واحدة وهي سائلة انهارًا في ما سواهُ واذا علمت ان ذلك الجوار بما وليهُ من فنار باغجه الى موده وقاضي كوي واطراف اسكودار يحوي مئتي الف ساكن تجلَّى لك مبلغ تلك الهمة الشماء

فعل كل ذلك وهو يعلم انهُ يجري على غير خطة المابين فما راعهُ ذلك بل راعهُ صوت وجدانهِ

ولا انبئك هنا بما كان من اجلال الاهالي من وطنيين واجانب لهذا الاقدام الخطير ولا افصل لك ما توالى عليهِ من رسائل الشكر الخاصة عدا عن الرقيم العام الذي امضتهُ النزالة الاوربية برمتها . وما نشر من مقالات الثناء الصافية في صحف الافرنج فتلك امور يستنتجها كل واقف على تلك الحوادث

ولكن السر الغريب الذي لا يعلمهُ الناس ان ذلك كان مبدأ النقمة عليهِ من رجال المابين وانهُ حتى ذلك الحين كان في اعلى مراقي الحظوة وما انحطت منزلتهُ الاَّ من ذلك اليوم فما وسعهم ان يقولوا لهُ انك اتيت جريمة القتل بحماية الانفس من القتل فما زالوا يحتالون بتوجيه التهم اليهِ حتى ألقوا بهِ الى تلك التهلكة التي أدت الى نفيهِ وسجنهِ وتجريدهِ من رتبهِ وألقابهِ واوسمتهِ»

والكتاب كلهُ على هذا النسق فهو جدير بان يطالعهُ كل ابناء الدولة العثمانية ويتخذوهُ عبرةً وذكرى

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الصورة في المرآة

طرابلس الشام . هل الخيال المنعكس عن المرآة من نوع الاعراض او هو جوهر . وما علاقة الفوتوغراف في ذلك

ج الصورة المنعكسة عن المرآة حاصلة من اشعَّة النور المنعكسة اصلاً عن الجسم الذي ترى صورتهُ في المرآة فاننا اذا رأينا شجرة فقد حدثت رؤيتنا لها من ان اشعة الشمس او اشعة القمر او اشعة السراج وقعت على اوراق الشجرة واغصانها وانعكست عنها الى كل الجهات وفي جملة ذلك الجهة التي فيها عين الرائي وهذه الاشعة التي تصل الى عينهِ

تدخلها وتؤثر في اعصابهِ فيشعر بها و بالجهة الواصلة اليهِ منها وان شئت فقل انها ترسم على باطن عينيهِ صورة تلك الشجرة فيشعر بها فاذا كانت الاشعة المنعكسة عن الشجرة قد وقعت على مرآة وانعكست عنها الى عين الرائي شعر كأَنها آتية من وراء المرآة حيث تلتقي خطوطها فيرى صورة الشجرة وراء المرآة. فالصورة التي ترى في المرآة ناتجة عن اشعة النور المنعكسة عنها وحاصلة من تصوُّر الرائي انها موجودة حيث تلتقي الاشعة اذا أُخرجت على استقامتها . ولم نفهم ما هو مرادكم من قولكم "ما علاقة الفوتوغراف في ذلك" فان ليس للفوتوغراف علاقة بكون الصورة التي ترى في المرآة عرضًا او جوهرًا

(٢) تصبير الطيور

اسيوط . الخواجه وليم مشرقي . كيف تصبَّر العصافير

ج تصبير العصافير يشمل عملين مختلفين الواحد سهل وهو ان يسلخ جلد العصفور بالتاني التام حتى لا يتمزق ولا ينتف ريشهُ ولا يدعك ثم يفرك الجلد من الداخل بمسحوق الزرنيخ حتى لا يقع فيهِ الدود . وهذا العمل سهل يتعلمهُ الانسان بقليلٍ من المزاولة . والثاني ان تعمل حشوة للعصفور من الكتَّان ونحوهِ وتوضع فيها اسلاك معدنية لتكون بمثابة هيكل لهُ وتوضع الحشوة داخل الجلد وذلك يقتضي مهارة خصوصية كمهارة المصور والنحَّات حتى يأتي شكل العصفور ووضعهُ مماثلين لحالتهِ الطبيعيَّة

(٣) تعلم فن الانشاء

القدس . ما هي افضل طريقة لتعلم فن الانشاء وما هي افضل الكتب التي يعتمد عليها في ذلك

ج لا بدَّ من انكم تريدون الانشاء العربي وكيفيَّة حصول ملكتهِ في النفس واذا كان الامر كذلك فملكة الانشاء تحصل من قراءة الكتب البليغة نثرًا ونظماً واستظهار الكثير منها والنسج على منوالها بعد تعلُّم قواعد اللغة . ومن كتب النثر المشهورة كتاب كليلة ودمنة ومقامات الهمذاني والحريري واليازجي ونهج البلاغة ومن كتب الشعر قصائد ابي تمام والمتنبي والشريف الرضي . ولا بدَّ للمتعلم من استاذ ينتقد ما يكتب ويدلهُ على مواقع الخطاء ووجوه الصواب

(٤) محيط المحيط

ومنهُ . هل يحسن اعتبار محيط المحيط مرجعاً صادقًا لمعاني الالفاظ فقد سمعت مرارًا انهُ ناقص وغير صحيح فما رأيكم في ذلك

ج نحن نعتمد عليهِ لسهولة استعمالهِ ولاننا وجدنا بالامتحان انهُ من اوسع كتب اللغة واصحها فاذا لم نجد فيهِ كلمة او اذا ارتبنا في تفسير كلمة رجعنا الى لسان العرب او تاج العروس . ويا حبذا لو اهتم احد من ابناء البستاني او غيرهم بتنقيحهِ وحذف ما يمكن

الاستغناء عنهُ منهُ واعادة طبعهِ على اسلوب يجعلهُ اسهل استعمالاً

(٥) استهواء البنات

بيروت . الامير رائف شديد بللمع . زار قصبة الشويفات في الصيف الماضي مبشر نروجي ولبث فيها ثلاثة اسابيع كان يصلي ويعظ ومن الغريب ان بعض البنات اللواتي آمنَّ بتعاليمهِ ولاسيما الصغيرات منهنَّ كنَّ يقعنَ في غيبوبة عند ما يصلين بحرارة واحياناً يغبن ولو لم يصلين ويتكلمن بألسنة غير مفهومة الاَّ بعض كلمات باللغة الانكليزية وبعض آيات من التوراة باللغة العربية ثم يفقن بعد ساعة من الزمان او اكثر او اقل . وكان ذلك المبشر يدعي ان الروح القدس حلَّ عليهنَّ كما حلَّ على التلاميذ يوم العنصرة واغرب من ذلك ان الروح بقي يحل على اولئك الفتيات بعد ذهاب المبشر فما قولكم في ذلك

ج كنا نود ان تروا البنات وتدققوا في البحث وتكتبوا ما تشاهدونهُ وما تسمعونهُ منهنَّ بالتفصيل والتدقيق . والحادثة اذا صحت نادرة ولكنها ليست منقطعة النظير وهي من قبيل الاستهواء او رقص مار يوحنا اي انها تأثر في الاعصاب ينتشر بالقدوة . واكثر ما يحدث ذلك للبنات وهو يحدث على يد كهنة الوثنيين كما يحدث على يد غيرهم ولا بد من ان يكون سببهُ واحداً وهو ما تقدم . اما اذا كان لهُ سبب غير طبيعي وليس مما يتوصل الى معرفتهِ بالعلم الطبيعي فليس لنا سبيل علمي الى معرفتهِ

(٦) ارخميدس وقولهُ

مصر . محمد افندي عبد الكريم رأيت في رواية فتاة مصر هذه الجملة "وهالها مناداتهُ وقولهُ وجدتها كأنهُ ارخميدس حين خرج من الحمام ومشى في الاسواق عارياً" فما سبب خروج ارخميدس عارياً من الحمام ومن هو ارخميدس هذا

ج ارخميدس اشهر علماء الرياضيات ولد في سيراقوسة سنة ٢٨٧ قبل المسيح اي منذ نحو الفين ومئتي سنة . ويقال ان الملك هيرو اعطى صائغاً مقداراً من الذهب ليصوغ لهُ منهُ تاجاً فصاغ التاج ولكن خامر الملك شك في امانة الصائغ حاسباً انهُ مزج الذهب بالفضة فطلب من ارخميدس ان يعرف ذلك من غير ان يحلل التاج فاشكل الامر عليهِ ولبث يفكر فيهِ مدة ثم دخل الحمام ذات يوم وغطس في مغطس فرأى الماء قد خرج من المغطس فارشدهُ ذلك الى حل مسألة التاج فخرج من الحمام عارياً وهو يقول يوريكا يوريكا اي وجدتها وجدتها . وهو مستنبط الطنبور الذي يستعمل في مصر الآن لرفع الماء

(٧) تعلم المنطق

ومنهُ . ما هي اسهل طريقة يتعلم بها

الانسان علم المنطق وما هي اسماء الكتب اللازمة لذلك

ج ان رسالة الشيخ ناصيف اليازجي المعروفة بقطب الصناعة تكفي المبتدئ وكذلك متن الشمسيَّة للتفتزاني وحاشية الباجوري على مختصر السنوسي وحاشية العطار على شرح التهذيب وايضاح المبهم من معاني السلَّم للدمنهوري وجزء المنطق من النقش في الحجر ولا بدَّ للمتعلم من استاذ يشرح لهُ ويمرنهُ

(٨) علم العمران

ومنهُ . هل يوجد كتب عربية لعلم العمران والاجتماع وما هي اسماؤُها

ج لم نرَ كتاباً عربياً في هذا الموضوع الاَّ كتاب غيزو الذي ترجمهُ المرحوم حنين الخوري

(٩) درس العلوم الطبيعية

هيا . حجازي افندي علي . ما هي اقوم طريق لدرس العلوم الطبيعيَّة وما هي هذه العلوم

ج العلوم الطبيعيَّة هي الفلسفة الطبيعيَّة والكيمياء والجيولوجيا والفسيولوجيا والنبات والحيوان والمتيورولوجيا والفلك . ولا بدَّ من درس كل علم منها على استاذ بارع فيهِ والاشتغال بها عملاً فتعلُّم الفلسفة الطبيعيَّة يقتضي ان يمتحن المتعلم بيدهِ خواص الاجسام الطبيعيَّة ومعرفة مركز الثقل والثقل النوعي وضغط الهواء ومرونة الاجسام وتمددها بالحرارة ونواميس الكهربائية والمغنطيس والنور وما اشبه . وتعلُّم الكيمياء يقتضي ان يمتحن المتعلم بيدهِ خواص العناصر الطبيعيَّة واستحضارها واستحضار مركباتها والكشف عنها . وتعلم الجيولوجيا يقتضي ان يذهب المتعلم مع معلمهِ يفتش عن طبقات الارض وصخورها ومافيها من المتحجرات . وتعلُّم الفسيولوجيا يقتضي ان يعرف المتعلم مبادئ التشريح ويشرّح الحيوانات بيدهِ ويرى احشاءها ويراقب افعالها وينظر بالميكرسكوب الى دمها ولبنها وسوائلها المختلفة ويمتحن فعل اللعاب وعصارة المعدة بالطعام وما اشبه . وتعلُّم علم النبات يقتضي ان يشرّح المتعلم النباتات ليرى اجزاءها المختلفة وان يجمع امثلة من انواعها وفصائلها ويرى مميزاتها وكذلك علم الحيوان يقتضي ان يرى المتعلم انواع الحيوانات من ادناها الى اعلاها ويشاهد مميزاتها . والمتيورولوجيا اي علم الاحداث الجوية يقتضي ان يشتغل متعلمهُ بمراقبة الحرارة والبرودة والرياح والغيوم وسائر الاحداث الجوية . والفلك يقتضي رصد الشمس والقمر والسيارات والثوابت واستعمال الكرة الارضية والفلكية وآلات الرصد المختلفة

(١٠) الافعال ومدلولاتها

المنيا . لبيب افندي برسوم . هل في العربية كتاب يبحث فيهِ عن اختصاص الافعال بمدلولاتها الحقيقية مثلاً اريد ان اعرف متى استعمل فاض وزاد او ناح وانتحب واين يباع

ج تجدون ما يفي بالمراد في فقه اللغة

والالفاظ الكتابية وكنز الحفاظ ونجدة اليراع ونجعة الرائد . وهذه الكتب متعارفة وتباع في كل المكاتب الكبيرة

(١١) الكمأة والرعد

مارنيو بالبرازيل . الخواجه ديب الياس

لاي سبب تظهر الكمأة بكثرة اذا حدث رعد كثير . ولا تظهر اذا لم يحدث رعد كثير

ج هذا القول شائع ونظن ان سببهُ ظهور الكمأة كل سنة في فصل الشتاء وحدوث الرعد فيهِ فيعلّق العامة ظهور الكمأة بحدوث الرعد ولا علاقة بينهما سوى حدوثهما معاً في فصلٍ واحد ولكن اذا اثبت البحث المدقق ان الكمأة تظهر حقيقة في الشهر الذي يكثر فيهِ الرعد سواء غزر مطرهُ او لم يغزر ولا تظهر في ذلك الشهر نفسهِ اذا لم يكثر فيهِ الرعد سواء كثر مطرهُ او قلَّ فيكون السبب ان الرعد يكثر تكوُّن الحامض النيتريك في الهواء من اتحاد نيتروجينهِ باكسجينهِ فيقع مع المطر ويغذي بزور الكمأة فيكثر نموها لان الكمأة كثيرة المواد النيتروجينية

باب الاخبار العلمية

الدكتور ورتبات

نعي الينا من بيروت استاذنا العلامة المفضال الدكتور ورتبات توفاهُ الله عصر يوم السبت في الحادي والعشرين من شهر نوفمبر الماضي ودفن في اليوم التالي في مشهد حافل بفضلاء بيروت من كل الطوائف والملل وسنأتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

الاستاذ ايرتن

توفي هذا العالم الكهربائي الكبير في الثامن من نوفمبر وهو في الحادية والستين من عمرهِ وقد وفقت بلاد اليابان ان استخدمتهُ لتعليم الفنون الكهربائية فيها فانشأ هناك داراً علميةً للبحث في المواضيع الكهربائية حتى قال مكسول ان مركز الثقل في الكهربائية قد انتقل الى بلاد اليابان . ثم عاد الى بلاد الانكليز وجُعل استاذاً للطبيعيات العملية واقام في هذا المنصب من هذا سنة ١٨٧٩ الى ١٨٨٤ وكان يشرك التلامذة في الامتحانات العلمية حتى يقرنوا العلم بالعمل او حتى يتعلموا العلم من العمل وهو اول من فعل ذلك ثم جُعل استاذاً للهندسة الكهربائية وبقي في هذا المنصب الى ان ادركتهُ الوفاة .

واكثر المهندسين الكهربائيين في بلاد الانكليز من تلامذتهِ

الدكتور اسعد حبيقه

نعي الينا من دير القمر بلبنان المأسوف عليهِ الدكتور اسعد حبيقه. درس الطب في بيروت واتمَّ درسهُ في فرنسا واتقنهُ علماً وعملاً واقام في الاسكندرية وصار من اطبائها المعدودين على حداثة سنهِ وآخر شيءٍ كتبهُ في ما نعلم رسالة في الشفاء الغريب نشرت في الجزء الثالث من مقتطف هذه السنة تأييدًا لما كتبهُ استاذنا الدكتور ورتبات وكلاهما الآن في العالم الباقي. اصيب بداء عياء لم ينفع فيهِ علمهُ ولا علم غيرهِ من الاطباء وقضى نحبهُ في اول نوفمبر قبل ان يتم الخامسة والثلاثين من عمرهِ

مذنب مورهوس

صوّر هذا المذنب صورًا فوتوغرافية كثيرة وقد بلغ طول ذنبهِ ١٧ درجة اي ٢٧ مليون ميل وقطر نواتهِ عشر دقائق من الدرجة اي ٢٩٠٠٠ ميل

كلف الشمس

عادت كلف الشمس الى الظهور فظهر مجموع كبير منها في ٦ نوفمبر وكان يرى بالعين لكبرهِ. ثم ظهر مجموع آخر كبير في ١٢ نوفمبر ورئي بالعين المجرَّدة في ١٧ نوفمبر

الذهب الشفاف والفضة الشفافة

لا يخفى على دارس الكيمياء ان ورق الذهب غير شفاف ولكن اذا وضعتهُ بين لوحين من الزجاج ونظرت من خلالهما رأيت ورق الذهب صار شفافًا وصار لونهُ اخضر كالزجاج الاخضر وقد بيَّن الاستاذ فرداي منذ احدى وخمسين سنة ان ورق الذهب وورق الفضة اذا الصقا بالزجاج واحميا يصيران شفافين. وقد بيَّن الاستاذ توماس ترنر في الجمعية الملكية ببلاد الانكليز انهُ اذا كان سمك ورقة الذهب جزءًا من ثلثمئة الف جزء من العقدة تصير شفافة اذا احميت الى درجة ٥٥٠ بميزان سنتغراد كأن دقائق الذهب تترتب حينئذٍ على صورة تجيز لاشعة النور الابيض ان تمر بينها. واذا كان سمك ورقة الفضة جزءًا من مئة وعشرين الف جزء من العقدة واحميت الى الدرجة ٣٩٠ صارت شفافة تمامًا. ولا يكتسب ورق الفضة الشفافية اذا احمي في الفراغ بل لا بد من وجود الاكسجين حولهُ مع انهُ لا يتحد بالاكسجين او ان الاكسجين يتحد بهِ فيصيرهُ شفافًا ثم يفلت منهُ حالاً ويبقى على شفافيتهِ

واذا كان سمك ورق النحاس جزءًا من ٧٥ الف جزء من العقدة واحمي في الهواء او في الاكسجين الى درجة بين ٢٠٠ و٤٠٠

صار شفافًا ايضًا ولكن يكون لونهُ اخضر زمرديًّا فاذا زادت الحرارة تغير لونهُ فصار زيتونيًّا فخمريًّا فاسود

اغلاء الماء وترشيحهُ

يظهر ان القول باغلاء ماء الشرب اذا كان آسنًا لمنع ضررهِ قديم جدًّا اشار بهِ اليونان قبلما عرفهُ علماء العرب فقد جاء ان روفس الافسسي الذي نشأ في القرن الاول المسيحي قال ان مياه البرك والانهار غير صالحة للشرب ما عدا ماء النيل واذا كان الماء راكدًا آسنًا او جرى في اراض وبيئة او قرب الحمامات العمومية فهو غير صالح للشرب ويصير صالحًا باغلائهِ في اناء من الخزف وتبريدهِ ثم باغلائهِ ثانية قبل شربهِ ويمكن تنقية الماء للجند بترشيحهِ في حفر تبطن بطين الخزف ويجعل بعضها فوق بعض فالشوائب تبقى في الحفر ويتحلب الماء منها نقيًّا

السكر في الخبز

يهتم الفرنسويون الآن بمزج الدقيق بالسكَّر وعمل الخبز منهُ فقد ثبت لهم ان الدقيق الذي فيهِ خمسة في المئة فقط من السكَّر يصنع منهُ خبز لا يبين طعم السكر فيهِ ويزيد مقدار الغذاء فيهِ وبذلك تكثر مقطوعية السكَّر فيروج ويزول الكساد الذي لحقهُ الآن. وقد وجدوا ان اهالي فرنسا انفقوا من السكَّر في العام الماضي ٥٨١٠٠٠ طن فخصَّ النفس منهم ٣٣ رطلاً فاذا اضيف الى الدقيق خمسة في المئة من السكَّر تضاعفت مقطوعيتهُ

الطعام النباتي والحيواني

لا يخفى ان الدكتور تشتندن الاميركي بيَّن بالتجارب ان جسم الانسان لا يحتاج الى اللحم الكثير الذي يأكلهُ الاوربيون لان الانحلال من عضلاتهِ قليل جدًّا والاطعمة اللحميَّة او النيتروجينيَّة على اطلاقها تُتعب كليتيهِ وتولد فيهِ سمومًا تضرهُ. الَّا ان الاستاذ ماكاي الانكليزي بحث في هذا الموضوع بحثًا مدققًا في بلاد الهند حيث الملايين من السكان يتغذون بالاطعمة النباتية الاصل ولا يأكلون اللحم الَّا نادرًا فوجد ان اقلالهم من اكل اللحم والمواد النيتروجينية عمومًا ضارٌّ بهم لانهُ يقلل المواد المغذية في الدم وفي خلايا الجسم عمومًا ويضعف الكليتين بنوع خاص وقد نتج عن ذلك ان مقدار العمل الذي يعملهُ الهندي قليل جدًّا بالنسبة الى العمل الذي يعملهُ الاوربي وهو يتعب من العمل قبلما يتعب الاوربي وتفعل بهِ ميكروبات الامراض اكثر مما تفعل بالاوربي لان ليس في جسمهِ ذخيرة يعتمد عليها وجسمهُ اصغر من جسم الاوربي وثقلهُ اخف مثل كل الذين غذاؤُهم قليل. نعم ان الاطعمة النيتروجينية تولد سمومًا

في الجسم ولكن الجسم السليم يتخلص منها بسهولة . ولا دليل على ان انحلال الاطعمة الدهنية والنشوية لا يولد السموم في الجسم فاذا ولدها وكان الجسم ضعيفاً عجز عن التخلص منها لاسيما وان الذين يكتفون بالاطعمة الخالية من المواد النيتروجينية يلتزمون ان يأكلوا مقداراً كبيراً منها ولذلك يكثر مرض البول السكري في بلاد بنغالا بالهند كثرة بالغة جدًّا لاعتماد الناس على الاطعمة النشوية فضررها اكيد لامثل الضرر الذي يظن ظنًّا انهُ ينتج من اكل الاطعمة اللحميَّة

دود القطن في الهند

اهتمَّ اهالي الهند منذ مدة بزرع القطن المصري والقطن الاميركي في بلادهم لانهما اجود من القطن الهندي واغلى ثمنًا لكن ظهرت الدودة فيهما فاتلفتهما وهي لا تضرُّ القطن الهندي فاذا لم يجد اهالي الهند واسطة لوقاية القطن المصري منها زال الخوف من مناظرة الهند لنا في زرع القطن الجيد

هبة هندية

وهب الكريم تشنوبهاي مدولال حكومة الهند ثلثمئة الف روبيَّة او ثلاثين الف جنيه لكي تنفق ريعها في التعليم في احمداباد وقد بلغت هبات الهنود هناك للتعليم مليونًا وثمانمئة الف روبيَّة

سل البقر

يعلم قرَّاء المقتطف ان الدكتور كوخ الالماني قال منذ بضع سنوات انهُ لم يجد ان سل البقر ينتقل الى البشر وخالفهُ الاطباء في ذلك ولا يزال جمهورهم مخالفًا لهُ ولما التأم مؤتمر السل في مدينة وشنطون في اواخر سبتمبر الماضي خطب فيهِ الدكتور رسيم هو يتهد وقال ان الاطباء الباحثين في هذا الموضوع يقدرون الدكتور كوخ قدرهُ ويعلمون ما لقولهِ من الشأن العظيم ولكن البحث المدقق اثبت ان سبعة في المئة من الذين يصابون بالسل تكون اصابتهم من القناة الهضمية ويرجح انهم يصابون من لبن البقر المصابة بالسل فلا يجوز منع الوقاية . وقد أُقيمت لجنة لتبحث عن اسباب وصول ميكروب السل الى اللبن

النمل وضيوفهُ

نشر الاب وسمان مقالات ضمنها مباحثهُ الكبيرة في طبائع النمل بيَّن فيها ان بعض انواع النمل تعيش معًا في قرية واحدة على تمام الوئام ولا يعتدي نوع منها على النوع الآخر وبعضها يسمح للخنافس الصغيرة ان تعيش معهُ آمنة وبعضها يسمح لتلك الخنافس ان تعيش معهُ اذا كان عددها قليلاً فاذا زاد قام عليها وفتك بها . وبعضها يؤمن الخنافس ولو كانت هي غير امينة فتأكل بيضهُ وهو لا يؤذيها

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثالث والثلاثين

٠٩٨٥ الوزارتان المصريتان

٠٩٩٠ عمارة اليابان

٠٩٩٣ خليل الخوري اللبناني · للاستاذ عيسى افندي اسكندر معلوف

١٠٠٢ تفوّق العقول · لسليم افندي الخوري

١٠٠٩ التعليم المفيد

١٠١٤ الانشاء · لأدوار افندي مرقص

١٠١٨ معجم الحيوان (مصوَّرة) · للدكتور امين معلوف

١٠٢٨ اسباب الاحتلال البريطاني

١٠٣٣ فكتوريان ساردو

١٠٣٥ الوراثة

١٠٣٩ دولة آل عثمان

١٠٤٤ باب الزراعة * انقلاب عظيم في الزراعة · خصب بلاد الشام · تعاقب المزروعات · المزروعات والميكروبات · الزراعة المصرية منذ مئة عام · زراعة الفلفل

١٠٥٣ باب تدبير المنزل * النساء وتمريض المرضى · الهواء النقي من غير رطوبة · تليين الكفوف · دواء بسيط للارق · فوائد منزلية · الغذاء في البيض · اوقات الطعام

١٠٥٧ باب التقريظ والانتقاد * المباحث · رأس الحكمة مخافة الله · امراض النساء · عبرة وذكرى ·

١٠٦٤ باب المسائل * الصورة في المرآة · تصبير الطيور · تعلم فن الانشاء · محيط المحيط · استهواء البنات · ارخميدس وقولهُ · تعلم المنطق ، علم العمران · درس العلوم الطبيعية · الافعال ومدلولاتها · الكمأة والرعد

١٠٦٨ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٢ نبذة

رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف